

جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: التاريخ

المرحلة الدراسية: الثالثة

المادة: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية

---

محاضرات مادة: تاريخ الحضارة العربية الاسلامية:

المحاضرة الاولى :

تعريف الحضارة:

((الحضارة)) في اللغة: الإقامة في الحضر... والحضر والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف». إذن، حين تذكر الحضارة في اللغة فإنه يقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى.

الحضارة اصطلاحاً:

يقول رالف لنتون: ((هو مجموعة من الناس تربطهم أفكار ومشاعر وأنظمة)). ويقول صامويل هانتغتون: (فما الذي نعنيه عندما نتحدث عن حضارة ما؟ إن الحضارة هي كيان ثقافي، فالقرى والأقاليم والمجموعات الإثنية والقوميات والمجموعات الدينية لها جميعها ثقافات متميزة، وهكذا فإن الحضارات هي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي تتحد في آن معا بالعناصر الموضوعية المشتركة، مثل اللغة والدين والتاريخ والعادات والمؤسسات، وبالتحديد الذاتي الذي يقوم به الشعب نفسه)

ويقول مصطفى علم الدين: (الحضارة هي نمط عيش مجموعة بشرية معينة، في بيئة معينة يتمثل في النظام الذي تعتمده المجموعة وفي سلم القيم الاجتماعية التي تحددتها لنفسها وفق هذا التعريف نستطيع القول ان لكل (مجتمع) حضارته الذاتية المتميزة .

### المحاضرة الثانية

: خصائص الحضارة الإسلامية

تحتل الحضارة الإسلامية بمكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها من أطول الحضارات العالمية عمراً، وأعظمها أثراً فالحضارة العالمية، يقول غوستاف لوبون في ذلك السياق: ( لا نرى في التاريخ أمة ذات اثر بارز كالعرب، فجميع الأمم التي اتصل بها العرب اعتنقت حضارتهم ولو حيناً من الزمن.

واعتبر عدد هائل من المفكرين والباحثين أن الحضارة الإسلامية عديمة النظر، متميزة عن غيرها الجوهر والمضمون، وأرجع هؤلاء ذلك التميز والتفرد فيها عن غيرها من حضارات الأمم إلى عوامل عديدة فاقت بها الحضارات الإنسانية الأخرى )

فقد نبعت هذه الحضارة من عدة أصول وركائز كان لكل منها دوره الخاص في ابراز خصائص الحضارة الإسلامية وتميزها عن غيرها وجعلها في مقدمة ركن الحضارات الإنسانية.

ويمكننا إجمال أهم الخصائص التي تميزت بها الحضارة الإسلامية عن غيرها فيما يلي:

### أولاً: أنها حضارة إيمانية

وهذا يعني أنها حضارة منبثقة عن أصول عقيدية مستمدة من الوحي الإلهي، فعن الوحي الإلهي نبعت تلك الحضارة، ومن مبادئه وأحكامه، استمدت خصائصها الفريدة، وفيه يكمن سر أصالتها، وعظمتها، وقدرتها الفائقة على التجدد والازدهار، فهي حضارة تقوم على التوحيد، وتتمحور حوله، وتنطلق من الإيمان بالله. والحضارة الإسلامية حين تتخذ التوحيد والإيمان ركيزة ومنطلقاً لها، إنما تهدف حماية كيانها واستمراريتها بسياج منيع من القيم الروحية والمثل الأخلاقية والمبادئ الفكرية .

فهي حضارة ذات منطلقات إيمانية ومرجعية دينية، أدت إلى قيامها وإبداعها وازدهارها، من هنا اصطبغ كل نشاط حضاري فيها بصبغة التوحيد

والإيمان، وهذا ما يجعلها تختلف عن أية حضارة أخرى لم تتبنى التوحيد صبغة وشريعة لها. يقول غوستاف لوبون: ( وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم، وتشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض وفي هذه السهولة سر قوة الإسلام، إدراكه سهل، خال مما نراه في الأديان الأخرى الذوق السليم غالبا من المتناقضات والغوامض)

ويظهر أثر خاصية الإيمان والتوحيد في عدد من المزايا التي اصطبغت بها

### الحضارة الإسلامية من أبرزها:

1. تجلي صبغة التوحيد في مختلف الأنشطة الإنسانية في التاريخ والجغرافية وعلم النفس والطب والهندسة والشعر والأدب والفنون المختلفة. وهذا يجعل هذه الأنشطة بأسرها تعبر بجلاء عن عظمة الخالق ووحداية سبحانه.

٢. يضع الإيمان والتوحيد على عاتق الإنسان مسؤولية إعمار الأرض والإفادة من قدراته الذاتية في البناء والعطاء واستثمار خيراتها في بناء الحضارة، كما يجعله موضع المسائلة والمحاسبة الذاتية أمام الخالق سبحانه عن ذلك كله.

٣ يعطي التوحيد للحضارة الإسلامية هويتها وخصوصيتها، ويكون بمثابة صمام أمان في تعاملها مع الحضارات الأخرى وانفتاحها عليها، فلا تأخذ إلا ما يتلاءم مع التوحيد، محتفظة بوحدتها وخصوصيتها .

4 أعطت القيم الروحية المتينة والدعائم الخلقية والفكرية للحضارة الإسلامية سمة الثبات والقدرة على مواجهة التحديات الصعبة عبر العصور والأزمنة.

### ثانيا: أنها حضارة إنسانية

بمعنى أنها تتعامل مع الإنسان أيا كان موقعه، فلا ترتبط بإقليم جغرافي، ولا بجنس بشري، ولا بمرحلة تاريخية، ولكنها تحتوي جميع الشعوبية والأمم، وتتجاوز كافة الحواجز العرقية والإقليمية والطبقية والمذهبية و اللونية،

لتحقق للإنسان سعادته ورفاهيته، وتجعل كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية، عمل إنساني حضاري يثاب عليه صاحبه.

لقد تشكلت هذه الحضارة لتتعامل مع الإنسان ذاته، فتستجيب لمطامحه وحاجياته في توازن تام، وتحقق أهدافه واهتماماته في اتساق كامل وإعراض شديد عن أي حاجز عنصري، يفرق بين الناس حتى وإن كان ذلك باسم الدين، وبهذه السمة أصبحت الحضارة الإسلامية تجسيدا واقعيا لعالمية الإسلام ورسالته باعتباره ديناً عالمياً لكل البشر , وظهر اثر ذلك جلياً من خلال اسهام كافة الشعوب الداخلية في الاسلام في بناء وصياغة حضارته مع مراعاة ان تبقى لغة الحضارة الجديدة هي اللغة التي نزل بها القران (العربية)

### ثالثا: أنها حضارة وسطية وتوازن:

وازنت الحضارة الإسلامية بين مختلف الثنائيات التي عانى منها الإنسان قرونا، فالموازنة في سائر الاتجاهات وعلى مختلف المستويات، سمة قررها القرآن الكريم بقوله تعالى : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ))

وبهذه السمة استطاعت الحضارة الإسلامية أن تجمع وتوازن بين الوحي والوجود، والمادة والروح، والوحدة والتنوع والدنيا والآخرة...

فوازنت بين الجانب الروحي والجانب المادي، في اعتدال ووسطية اتسمت بها تعاليم الإسلام ومبادئه، فلا تفريط ولا إفراط، ولا غلو ولا تقصير، وهي إذ جمعت بين هذين الجانبين ووازنت بينهما، أدركت طبيعة الإنسان واستعداداته فالجانب الروحي له مطالبه التي ينبغي أن يرهاها الإنسان في بناء حياته دون أن يدفعه ذلك إلى التواكل أو الاستسلام وعدم الاكتراث بالحياة والعمل، كما أن للجانب المادي احتياجاته التي ينبغي مراعاتها دون إسراف أو تقصير.

وقد ظهر ذلك في الانسجام التام الحاصل بين الإنسان والكون بأسره، فلا ينفرد من المدنية ولا يعرض عن الوسائل والمنجزات المادية، بل يسهم في تحصيلها وتوظيفها لتحقيق مهمته على الأرض، من هنا كان الاهتمام بالجانب المادي والإنجازات المادية من أهم مقومات خلافة الإنسان في الأرض من أجل عمارتها والإسهام في تشكيل حضارتها.

كما وازنت الحضارة الإسلامية بين العلم والإيمان، فتناولت العلم بدافع فطري ذاتي باعتباره طريقاً إلى الإيمان والدين، وجعلت العلم أساس الإيمان ووضعت إلى جانب الوحي مصدراً للمعرفة التي هي أساس الحضارة وازدهارها على نحو ما جاء في أول كلمة في القرآن الكريم: "اقرأ" فقرر العلم وتقصي الحقائق واتباع الوسائل والمناهج العقلية، أولى خطوات الإيمان. !

وبهذا بات للعلم مفهوماً حضارياً إيماناً، وصارت علوم الطبيعة والإحاطة بها طريقاً للإيمان، فكان الارتباط بين المعرفة العقلية والدين، وعلوم الطبيعة وعلوم الشريعة والعقيدة والعلوم الأخرى ارتباطاً تفاعلاً وتمازجاً ومحاولة لصياغة حضارية متكاملة متوازنة، فبرزت العلوم والآداب والفنون والحكم والصنائع والفنون، فكانت العلوم بأسرها عناصر لهذه الحضارة "قال تعالى ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قَدِيرٌ))

### المحاضرة الثالثة:

أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الغربية الأندلس انموذجاً:

تقوم العلاقة بين الحضارات على أساس التأثير والتأثير، فليس ثمة حضارة إلا وقد أفادت من محصلات الحضارات السابقة لها، كما أنها تترك بصماتها على ما يعقبها حضارات من خلال صيغ ومفاهيم حضارية متنوعة"

وقد أجمع العلماء علي أن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها تعد من أطول الحضارات العالمية عمرا، وأعظمها أثرا في الحضارة العالمية، فقد أسهم المسلمون في تأسيس حضارة مميزة غيرت وجه التاريخ وكانت من أهم العوامل وراء تفتق الحضارة الغربية الحديثة وبزوغها.

فقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس العلم والمعرفة وعملت على حمايته، وجعلت منه فريضة يتقرب بها المسلم إلى الله وعممت التعليم والتربية وحرمت عملية احتكار العلوم. وبرزت العبقرية في مختلف ميادين العلم والمعرفة، واستفاد الشرق والغرب من العلوم العربية الإسلامية، حيث كانت الحواضر الإسلامية مراكز يتجه إليها طلاب العلم من كل حذب وصوب.

وكان تأثير الإسلام في أوروبا (في القرون الوسطى) شاملا ميادين كثيرة، ومهيمنة على جوانب متعددة ويمكن القول أن هذا التأثير عم مستويات الحياة الأوروبية جميعا، ونال أكثر المجالات والبنى اختلافا وتباعدا، بما في ذلك النواحي المعيشية والتجارية والاقتصادية والتقنية والسياسية والآداب والعلوم والفلسفة والدين، وقد أصبحت مسائل العلاقات الحضارية العربية الأوروبية حقا خصبا للباحثين .

يقول غوستاف لوبون: ( كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم، وان المسلمين هم الذين فتحوا لأوربا ماكانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، بتأثيرهم الثقافي، فكانوا بالفعل ممدنين لنا وأئمة لنا طيلة ستة قرون).

ويقول في موضع آخر: أوروبا مدينة للعرب بحضارتها، والحق أن تأثير العرب في الغرب ليس أقل منه في الشرق ،ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها وإذا رجعنا إلى القرن التاسع والعاشر من الميلاد، حين كانت الحضارة الإسلامية

في إسبانية ساطعة جدا، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجا يسكنها سنيورات متوحشون يفخرون بانهم لا يقرأون.

طرق وصول وعبور الحضارة الإسلامية الى الغرب:

وصلت الحضارة الإسلامية وتم نقل علومها ومعارفها إلى أوروبا من عدة طرق مثل: الأندلس، صقلية، وبلاد الشام، ومعايير حضارية أخرى كالبندقية وجنوة وبيزا وقبرص ورودوس وسواها في وقت كانت فيه أوروبا تعاني من وطأة التخلف العلمي والحضاري، وقد كانت إسبانيا في العصر الذي دخلها فيه المسلمون، لا تختلف كثيرا عن بقية بلدان غربي أوروبا من حيث انتشار الجهل والشعوذة والنزاعات الداخلية والفتن بين المذاهب الدينية المسيحية، حتى أن بعض أمراء إسبانيا ورئيس أساقفة اشبيلية ساعدوا المسلمين على فتح إسبانيا.

يقول الكاتب الإسباني الكبير ايبسانيز: من القرن الثامن الى القرن الخامس عشر، تنشا وتنمو أجمل وأغنى حضارة وجدت في أوروبا طيلة العصر الوسيط. فعلى حين كانت شعوب الشمال تبيد بعضها بعضا بحروب دينية وتسلك سلوك القبائل البربرية، كان سكان إسبانيا يرقون إلى أكثر من ثلاثين مليون نسمة، وفي هذا الخضم من الناس يمتزج وتضرب جميع الأجناس وجميع المعتقدات، بتنوع لا ينجم عنه أشد النبضات الاجتماعية. وفي هذا الخليط الغني من الشعوب والأعراق كانت تتعايش جميع الأفكار وكافة العادات وجميع الاكتشافات الناجزة حتى ذلك الحين على الأرض، وجميع الفنون، وجميع العلوم وجميع الصناعات وجميع المخترعات وجميع المذاهب القديمة، ومن احتكاك هذه العناصر المختلفة كانت تتدفق اكتشافات جديدة وطاقت خلاقية جديدة.

وأشار إلى بداية تلك النقلة الحضارية - غوستاف لوبون- مؤكدا أن العلوم دخلت أوروبا من إسبانية وصقلية وإيطالية من خلال مكتب لترجمة تم العمل

فيه منذ عام ١١٣٠ م وكان ينقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية تحت رعاية الأسقف ريمون.

فما إن استقر المسلمون حتى بدأوا بتنشيط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وأصبحت مدن الأندلس من أغنى وأهم المدن الأوربية لاسيما قرطبة فقد استقر المسلمون قرابة ثمانية قرون فيها حتى بلغت الحضارة الإسلامية أوجها هناك في النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد بعد أن أصبحت قرطبة - حاضرة الخلافة الأموية - من أعظم مدن العالم المتحضر .

وقد أشار إلى تلك الحقيقة "كويلر يونج" في بحثه عن أثر الثقافة الإسلامية في الغرب المسيحي بتذكير مسيحي أوروبا المعاصرة، بالدين الثقافي العظيم الذي يدينون به للإسلام منذ أن كان أجدادهم في العصور الوسطى، يسافرون الى حواضر الإسلام - في إسبانيا خاصة - ليلقوا على أيدي معلمها من المسلمين، الفنون والعلوم وفلسفة الحياة وفي جملة ذلك التراث، الكلاسيكي القديم الذي احسن الاسلام رعايته وصانه من الضياع حتى استطاعت أوروبا أن تسترده وترعاه.

ومما أسهم في هذا التطور الحضاري الهائل في الأندلس، مبدأ التسامح الذي سار عليه المسلمون مع غير هم من مسيحيين ويهود، مما ساعد في إقبال هؤلاء على تلقي العلوم وتعلم اللغة العربية، وتتلذذ بعض من اليهود والمسيحيين على العلماء المسلمين، فأصبح هؤلاء رسلاً جديداً للحضارة الإسلامية، نتيجة اتقانهم اللغتين العربية واللاتينية معاً، واستطاعوا نقل العلوم العربية والإسلامية إلى الاسبان والأوروبيين، وأصبح إقبال الغربيين على تعلم العلوم العربية واضحاً مما حدا بأسقف قرطبة في عام 854م أن يحذر من نسيان المسيحيين حتى لغتهم، في حين يوجد بينهم عدد كبير لا يحصى يتكلم العربية بطلاقة ويقرض الشعر احسن من العرب أنفسهم.

### المحاضرة الرابعة

## حضارة الأندلس وأثرها في أوروبا

لم يكن الفتح العربي لإسبانيا احتلالا عسكريا بل كان حدثا حضاريا هاما وحركة تحرير للشعوب الإسبانية فقد امتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الاسلامية، ونتج عن هذا المزج والصحى حضارة أندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الأوربية وتركت اثارا عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم.

وباستكمال حركة تحرير إسباني استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك العربي الإنساني أثر كبير في تالف القلوب إذ لم يلبث العرب أن أنسوا اليهم وحصل التزاوج والمصاهرة بينهم .

فنشأت طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين التي هي خليط من دم أهل البلاد. الأصليين ودم العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة أخرى هي طبقة المستعربين وهم الاسبان المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها .

وأحسن العرب سياسة سكان اسبانيا، فقد تركوا ليد كنائسهم وقوانينهم وأموالهم وحتى المقاضاة الى قضاة منهم، ولم يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية صغيرة، ولم يبق للعرب إلا أن يقاتلوا الطبقة الأرستقراطية المالكة للأرضين.

وحرص العرب على الوفاء بعهودهم لأهل النمة حتى في الحالات التي كان يبدو للمسلمين أنهم خدعوا فيها، وقد وفى العرب رغم ذلك فقال الرازي: (فمضوا العرب على الوفاء لهم وكان الوفاء عادتهم)

وفي مثل هذا الجو من التسامح اصاب البلاد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بحيث أصبحت الأندلس أكبر قوة سياسية في المنطقة، وعلى الرغم من هذا التسامح العظيم، فتد ظهر فرق واضح بين هذه السياسة المتسامحة، وبين سياسة الاضطهاد الاعمى الذي وقع على المسلمين بعد

سقوط الأندلس، حيث ذبح نصارى الأندلس أعدادا كبيرة من المسلمين، وحتى أنهم رفضوا تنصر من تنصر منهم لعدم الثقة بينهم وبنواياهم .

### المحاضرة الخامسة:

#### عناصر المجتمع العربي قبل الإسلام :

لقد كان النظام الاجتماعي قبل الإسلام يستلم إلى القبيلة والقبيلة تتكون من الناس الذين ينتمون إلى أصل واحد مشترك وسينكبون منطقة واحدة إذ تختلف هذه القبائل من حيث عدد أفراد مقسمة فيها كبير والقسم الآخر من هذه القبائل صغير وتقسم القبيلة إلى عشائر والعشائر تتكون من الأفاخاذ وكانت القبيلة تتكون من العرب الصليبية والحلفاء والعييد وسوف نتكلم عن كل واحد من هذه المكونات في القبيلة على حده .

#### فالعرب الصليبية:

هم اللذين ينحدرون من أصل واحد مشترك ويشتركون سوية في العادات والتقاليد الاجتماعية الموجودة في القبيلة .

#### أما الحلفاء:

فهم ليس منحدرين من أصل مشترك للقبيلة ولا يرتبطون برابطة الدم ولكن لجو إلى القبيلة لأسباب عرفية أو اجتماعية دون هذه حادثة ارتكاب جريمة القتل فيصدر الحكم العشائري اتجاه تلك الأشخاص من العشيرة الأصلية واللجوء إلى عشيرة أخرى واللذين أطلق عليهم الحلفاء .

#### أما العبيد :

فكان أغلبهم من أسرى الحرب كما ان بعضهم يأتي عن طريق الشراء والبيع اذ كان اغلب اسرى الحرب يعملون في الاعمال اليدوية ولا يشتركون في الحروب لان القانون العرفي والدولي لا يسمح للأسرى بعد اسرهم الاشتراك في الحرب مرة ثانية.

### مكانة المرأة عند العرب قبل الإسلام :

لقد كان المجتمع البدوية مكانة المرأة في عصر ما قبل الاسلام يتبع نظام الابوة كان للرجل السلطة والسيادة في البيت ورغم كل ذلك فقد كان للمرأة مكانة كبيره في المجتمع البدوي فهي تتكلم بأعمال اضافية الى جانب البيت وانجاب الاولاد ومن هذه الاعمال تضييد الجرحى في الحروب وتزويد المقاتلين بالماء والطعام.

ولكن هناك من ناحية اخرى اعباء اخرى على الرجل وفي مقدمتها المحافظة على المرأة من اي اعتداء يحصل على المرأة مما ادى بكثير من الرجال بعدم الارتياح لولادة البنت وانتشرت ظاهرة عند كثير من افراد المجتمع البدوي وهي مسألة وأد البنات اذ مارسته بعض القبائل العربية , وقد رفض القران الكريم رفض قاطع هذه الظاهرة . قال تعالى ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31))) ومن ذلك فأن هذا لا يعني ان العرب لا يحترمون المرأة بل كانت لها مكانة مهمة وكبيرة اذ اصدر التشريع الاسلامي قوانين عديده لصالح المرأة في المجتمع منها حق التملك وحق الارث عند وفاة والدها وكذلك تستشار عند زواجها على عكس ما كان سائب قبل الاسلام وهو الزواج القسري والمجبر بحق المرأة .

### المحاضرة السادسة

عناصر المجتمع العربي في صدر الاسلام .

## 1-العرب

وهم سكان الجزيرة العربية و أطرافها ورجال الجيش والقبائل التي انتقلت حركة الفتوح وحروب التحرير خارج حدود الأرض العربية الإسلامية وقد زاد الإسلام من وأصبحت السيادة العرب في العصر الراشدي والأموي ولكن دخول الأعاجم في العصر الأموي أخذت الدولة العربية آنذاك تحوطات شديدة من العناصر الأجنبية لكي يبقى الإسلام سيد الموقف وحرمت الدولة العربية الإسلامية أولاد الخلفاء من الزواج من غير العرب بمنعهم من الوصول إلى منصب الخلافة وبالرغم من ذلك فقد يكون الزواج من غير العربيات قد يمنعهم من الابتعاد عن عقيدتهم وقد انتشر العرب خارج حدود الجزيرة العربية وخصوصاً في زمن الخليفة الأمي معاوية بن أبي سفيان وقد ساعد من جراء ذلك انتشار اللغة العربية وبهذا بعد الامويون خدمة جليلة في الأمة العربية وهي انتشار اللغة العربية والتي كانت من جزائها تدوين الدواوين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية وبهذا أن للأمويين دور كبير في ابعاد العناصر الأجنبية عن مؤسسات الدولة العربية الإسلامية لكن الذي مصر العباسي يعد خلل كبير في مؤسسات الدول العربية الإسلامية هو اشتراك العناصر الأجنبية في الحكم وخاصة الأتراك و الروم إذ تزوج الكثير من العباسيين من أصل غير عربي ولكننا لا نضع اللائمة الكبيرة وحدهم لحين تتبعنا العناصر الأجنبية لوجدنا خلل بسيط قد حدث في العصر الأموي وهو أن يزيد الثالث كانت أمه من اصل غير عربي.

إذ نشأ تناحر بين العرب و الموالي في العصر الأموي والعباسي وكانت نتيجة ذلك ظهور الشعوبية وقد تصدى لها الكتاب العرب وردوا عليهم وبرغم ذلك لا ننسى دور العباسيين في الجوانب الأخرى غير السياسة مثل الصناعة والتجارة وغيرها. إذ كان العباسيين يعتبرون أنفسهم من أرفع الناس مكانة وقدرة وكان يطلق عليهم (الإشراف).

## 2-الموالي :

وهم المسلمون من غير العرب الذين جاءوا مع توسع الدولة العربية الإسلامية حيث ظهر الكثير منهم فقهاء ومحدثين وترعرعوا في حضر الدولة العربية الإسلامية وتكلم العربية بشكل واضح بحيث أصبح من الصعب التمييز بين العرب و الموالى حتى ادخلوا الوظائف الإدارية في أواصر الدولة العربية من أصل أموي وقد نبغ العديد منهم والمعارف الأخرى.

وكان الموطن الأصلي للموالى عدة مدن عربية هي مصر والعراق وهذا يعود إلى ثقافتهم العالية

### 3- أهل الذمة -

هم المسيحيون واليهود الذين عاهدهم المسلمون والذين أطلق عليهم المعاهدون وقد تمتع أهل الذمة بحرية دينية ومعاملة حسنة في عصر صدور الإسلام والعصر الراشدي إذ شملت سماحة الدين الإسلامي أديان أخرى غير المسيحية واليهودية وهم المجوسية والوثنية .

وبما أن الإسلام نظام اقتصادي معين في تلك الفترة وهي نظام الجزية والخراج فقد كان الخراج فرض على المعلمين أما الجزية فقد كانت تفرض على الناس من غير المسلمين وفيما يخص بوقت الإسلام بن موضوع اتجاه أهل الذمة فقد اخذ زمن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم دينار واحد وفي زمن الخليفة عمر رضي الله عنه و كان بيع المستوى المعاشي من أربعة دنانير ودينارين ودينار واحد واستمر موضوع الجزية على هذا الأموال إلى العصر الأموي والعباسي وقد امتاز أهل الذمة بالخبرة الكبيرة في المجال المالي والصيرفة واستت لم ديوان سمية (الجوالي) وكان مسؤول الي ان رجل مسلم ويطلق عليه رئيس الديوان في المذهب الإسلامي وفي المذهب المسيحي رئيس المسيحية أما عند اليهودية فكان رئيس الديوان يسمى (راس الجالوت).

### 4- الرقيق

ان الرقيق معروف قبل الإسلام وحتى في الحضارات القديمة و تمارسه  
الفرس والروم أصل الرقيق هم من اصل العرب الذين جاءوا عن طريق  
المتاجرة وعاصر العرب البلدان التي فتحوها من سيطرة الروم والفرس حيث  
أصبح الكثير من الرقيق أحرار نتيجة لدخولهم مع العرب وازداد عددهم في  
زمن الأمويين أي عندما كثرة الفتوحات العربية الإسلامية فكان الرق في  
الحرب موزع على القادة كشيء يشبه المعونة القادة في أعمال الخدمة والقسم  
الأخر موزع المقاتلة و القسم الآخر يباع في الأسواق إذ كان السوق الذي  
يباع فيه الرقيق يسمى سوق التماسه والقسم الآخر من الرقيق استعمل في  
حرفة الزراعة والخدمة ألبيته إلا أن التطورات ريعية الإسلامية جاءت بأفكار  
وتشريعات سماوية على جعل الإنسان حر فقد أقدم المسلمون على تحرير  
الرقيق في نصوص قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية شريفة كما أن هناك بعض  
القيود

البسيطة والعادات الخاصة بهم وقد وضع بعض العلامات والأختام في أعناق  
الرقيق تختلف

تماما عما هو في الإسلام. أما الشهادة شهادة العبيد) فيرى بعض الفقهاء  
عارضوا شهادتهم

بالرغم من أن الدين الإسلامي وافق على شهادتهم حيث ظهر فقهاء كثيرون  
جاءوا بأدلة دافعة

تهياً عدم قبول شهادة الرقيق ومن هؤلاء الفقهاء (ابن حزم) هذا فيما يخص  
بعض العادات

والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك عند الرقيق. ولا بد أن نذكر أن  
المواطن الأصلي

الرقيق هو مصر وشمال أفريقيا وفي نفس الوقت تدرج هؤلاء الرقيق في كير  
من المناصب القيادية ومنهم مؤنس الخادم قائد الجيش في زمن الخليفة

المقتدر بالله وهو قائد الجيش العباسي ويلقب بالمظفر وقد كان قائد الجيش في فترة ٢٩٠ هـ - ٣٢٥ هـ. ومن الوظائف الأخرى التي استلمها الرقيق هي وظيفة الغذاء الذي تولع فيه الخلفاء كثيرا ومن بين الولاة والخلفاء الذين استحبوا الغذاء الرقيق هو ابن رائق أحد ولاة الخليفة المعتضد بالله

هناك تقسيمات المجتمع العربي الإسلامي على أساس الوظائف ومن أهم هذه التقسيمات :-

1. طبقة الحكام وتشمل الخليفة والوزراء وحاشيته .
- ٢ . طبقة رجال الدين مثل الفقهاء والخطباء والقضاة.
- ٣ . طبقة أرباب السيوف وهم القادة والجند
4. طبقة أرباب الأقلام وهم الكتبة وأهل البريد.
5. طبقة أرباب المهن من سكان المدن وهم أصحاب الزراعة والصناعة والتجارة.
6. طبقة الفلاحين والزراعة وهم سكان القرى والأرياف.

### المحاضرة السابعة

طبقات المجتمع العربي في الأندلس .

1. العرب :- لقد احتفظ العرب بأنسابهم وتمسكوا بالعصبية القبلية وبالأخص الأمويين ذوي

المراتب العليا وذلك لجهود الخلفاء في إقامة دولتهم وبالأخص الأمير عبد الرحمن الداخل أحد أفراد الأسرة الأموية ومع ذلك فإن القضاء اليمانية نصيب اكبر في الأندلس أكثر من نصيب القضاء القيسية.

- 2-مولدون:- وهم ورعاية الأمويين الذين دخلوا الإسلام بحيث أصبح من الصعوبة التمييز بينهم وبين الأمويين وقد احتفظ البعض منهم بأسمائهم الأصلية فقد حدث ترابط عميق بين الأمويين والمولدون في العلاقات الاجتماعية والتي كان من ضمنها الزواج بين المولدون والأمويين العرب.
- 3- البربر : أصل البربر من القسم الجنوبي الغربي من الأندلس سكنوا الجبال والهضاب كانوا يمارسون الزراعة وحرفة الرعي.
- 4-الصقالية:وهم اسرى الحرب الذين اشتراهم العرب من القبائل الجرمانية وهم من اصل أوربي أي أن الصقالبة نفس الرقيق الذين تكلمنا عنهم سابقا، لقد استخدم الصقالبة في الجيش والبلاط الأندلسي وأضافوا مع قوة العرب فيما بعد.
- 5- أهل الذمة: وهم اليهود والمسيحيين الذين سكنوا الأندلس وكانوا هؤلاء أكثر عدد في الأندلس مما هو موجود في أقطار المسلمين الأخرى وكانوا يسمون بالمستعربين وق عامل المسلمون الأسبان أهل الذمة معاملة حسنة وأعطوهم حرية التسامح الديني حيث ساهموا في نقل الثقافة الإسلامية إلى الغرب واهتموا بالفقه الإسلامي.
- 6- المدجنون :- نشأة هذه الطبقة بعد زوال الحكم العربي من الأندلس واحتفظ المدجنون بعاداتهم وتقاليدهم وتظاهروا بالتنصر وأطلق عليهم المورسكيون وقد ابقوا على هذه الحالة حتى سقوط غرناطة عام 897 هـ / 1492م وقد اضطهد الأسبان المدجنين و اجبروهم على اعتناق المسيحية واضطهدتهم الكنيسة وقد انتهى الأمر في المدجنين حيث قام بإخراجهم من أسبانيا الملك الأسباني فيليب الثالث بصورة نهائية.

## المحاضرة الثامنة:

الحياة الاقتصادية في الاسلام

## الزراعة :

شكلت الزراعة جانب حيوي في جوانب الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي لأنها زودت بيت مال المسلمين بموارد مالية كثيرة إضافة إلى ذلك أن هناك إعداد كبيرة من المواطنين اعتمدوا في حياتهم المعيشية بشكل مباشر وغير مباشر على الزراعة والإنتاج الزراعي يخدم ناس لا يجيدون الزراعة ولكن حياتهم اليومية مرتبطة بالزراعة.

الزراعة حظيت بمكانة مهمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهذه الآيات تشير إلى

معالجة الكثير من القضايا المتعلقة بالزراعة وضرورة العناية بالأرض فقد ذكرت الزراعة في

القران الكريم (14) مرة ففي قوله تعالى : (((فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ \* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ))) الواقعة الآية (٩٣-٦٤).

أما مكانة الزراعة في الحديث النبوي الشريف فقد قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان له به صدقة يوم القيامة)، وبما أن الطرق يعتبر مركز وحاضرة الدولة العربية الإسلامية فقد تميز بخصوبة أرضيه ووفرة مياهه فقد كان أراضيها التي تدعي بأرض السواد كانت ملك مشاعا للمسلمين وهذا ما قرره الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والتي فيما بعد ظهرت الملكيات الخاصة حيث لعب دور بارز حتى العصر الأموي

لقد كانت أراضي العراق تسقى بواسطة القنوات المنتشرة في القسم الجنوبي من العراق وبالأخص في منطقة البصرة فعلى سبيل المثال أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه وليه على البصرة أبو موسى الأشعري بأن يحفر نهر لأهل البصرة سمي بنهر المعقل. لذلك نجد الكثير من القادة

المسلمين الذين جاءوا بعد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و باعتباره قد أرسى الدعائم الأساسية للاقتصاد العربي الإسلامي.

فقد بذلوا جهودا كبيرة في حفر القنوات وسد البثوق التي كانت موجودة في مقدمات الأنهار كما تعددت وسائل الري وبالأخص الري بالواسطة وخصوصاً الدوالي التي تجرها الحيوانات كما حفر المسلمون السدود على الأنهار استكمالاً للعملية الزراعية هذا فيما يخص أعمال المسلمين في الجانب الزراعي في القسم الجنوبي من الأراضي أما المناطق الشمالية بين العراق والتي تسمى بالجزيرة الفراتية تشمل الموصل والأراضي السورية وكانت تروى بطريقة الآبار والعيون والأمطار أما الطريقة السائدة فهي الزراعة في هذه الأقسام فكانت آنذاك تزرع قسم من الأراضي والباقي يترك الذي يسمى بأراضي البور وعلى العكس الذي تزرع هذه السنة تترك وتزرع التي ترتب قبلها وهذه عملية ناجحة و على العكس تترك الأراضي المزروعة وهذه عملية ناجحة استعملها العرب لكي لا تفقد الأرض خصوبتها.

فقد استعمل العرب المحراث اليدوي الذي تجره الحيوانات لحرثة الأرض أما طريقة الزراعية

فكانت على نوعين:

النوع الأول الزراعة بواسطة البذور

النوع الثاني الزراعة بواسطة الأقاليم خصوصا أشجار الفواكه.

أما المحاصيل السائدة عند العرب هي الحنطة والشعير والذرة والتي كانت تزرع في العراق وخوزستان ومصر أما الشعير فكان يزرع في العراق وبالأخص في منطقة واسط والذرة في منطقة الجزيرة العربية ومنطقة كرمان أما الرز فكان العراق الموطن الأصلي وبالأخص القسم الجنوبي إضافة إلى الفواكة هنالك الكروم الذي زرع في العراق واليمن وبلاد فارس والارنج في

بلاد الشام أما الفواكه الأخرى كالبطيخ و الرمان وقصب السكر فكانت زراعته منتشرة في بلاد متفرقة من البلاد العربية.

## المحاضرة التاسعة

التجارة: -

مارس العرب التجارة من عهد قديم حيث تعد التجارة من الميادين الاقتصادية المهمة لاستثمار

رؤوس الأموال في المجتمع العربي الإسلامي وقد سبق العرب (عرب الجاهلية في هذا المجال ونظرا لمكانة التجارة في حياة المسلمين فقد قدم القرآن الكريم والحديث أدلة كبيرة على مكانة التجارة في الإسلام فقد قال تعالى في كتابه العزيز: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (فاطر: ٢٩) وكذلك الحديث النبوي الشريف قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم بالتجارة فان فيها تسعة أعشار الرزق) فقد مارس الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين التجارة واعتبروها مهنة مرموقة في المجتمع إلا أن التجارة أصابها بعض الركود في العصر الأموي بسبب الانشغال في الفتوحات الإسلامية لكن بعد مجيء العصر العباسي تقدمت التجارة تقدما ملحوظا وبالأخص في زمن الخلفاء في العصر العباسي الأول وكان من أبرز أقطار الخلافة العربية الإسلامية الذي حظا بمكانة مرموقة في هو العراق و لما يمتاز به من موقع جغرافي فنقع على أرجاء العالم البري و البحري في البصرة كانت منفتحة على الخليج العربي والهند والموصل منفذ العراق إلي أذربيجان و ارمينا و الشام إضافة إلى ذلك شهدت مدن عربية أخرى مكانة مهمة بالتجارة العربية الإسلامية ومن هذه المدن دمشق التي كانت محطة للقوافل القادمة من بلاد الأناضول والجزيرة انفراتية و المتجه إلى كحان مكة - المدينة - اليمن ومصر ثم لا ننسى دور المدن الأخرى العربي في التجارة مثل طرابلس وبيروت وصور وصيدا والفسطاط وكانت الوسائل المعتمدة في

نقل التجارة أما البرية بواسطة الحيوانات أو البحرية عن طريق السفن في البحر.

الصادرات والواردات :-

نظرا لما تمتاز به الدولة العربية الإسلامية من نشاط تجاري كبير فقد ازدهرت الصادرات

والواردات التي تمر منه وتأتي إليه فقد اشتهرت بغداد بصناعة المنسوجات الحريرية كالمناديل والعمائم والعمائم والعمائم والعمائم والعمائم الخز (الحرير) أما الموصل فكان مشهورة بستائرهما كما كانت هذه المنطقة من المناطق المصدرة لمحصول الحنطة أما ميسان فكانت مشهورة بالسجاد والحصف أما مدينة واسط فكانت مشهورة بصناعة الستائر والبطانيات والمنتجات القطنية الأخرى أما مدينة حران فكانت مشهورة بالفواكه كما هو الحال في الجزيرة الفراتية.

إذن الواردات كانت مقتصرة على السجاد والستائر من الميناء الديباج والسجاد من بلاد الرود والأنسجة الحريرية و المسك و الرقيق من الصين ومن إيران ومن سمرقند كان يأتي السجاد و الورق والسيوف ومن الهند التوابل و من مصر الكتان ومن اليمن العنبر والعمائم والعمائم والعمائم الخز الواردات في البلاد العربية من البلدان المجاورة لها أما صادرات العرب فكانت محشورة على الخيل والجمال و الجلود وقد نشأ من هذا نشاط تجاري واسع بين البلاد العربية و البلدان الأخرى .

اسلوب المعاملات والنقود:-

كانت العملة السائدة في الجزء الشرقي من الدولة العربية الإسلامية هو الدرهم الفضي أم الجزء الغربي قهر الدينار الذهني وهذا يعني أن الجزء الشرقي من الدولة العربية الإسلامية كان خاضع لامبراطورية الساسانية أما الجزء الغربي فكان خاضع للامبراطورية البيزنطية وكل جهة تخضع عملتها

للبلاد المسيطر عليها فكان العراق يتعامل بالدينار والدرهم لسوية وذلك لان قسم من أجزاء العراق خاضع للسيطرة الساسانية والقسم الآخر يخضع للسيطرة البيزنطية إلا أن هذا لم يدم طويل بسبب اتصال الأقسام الشرقية أو الإسلامية عن الأقسام الغربية وهذا ما حدث في سنة 4هـ : تعاملت الأقسام الشرقية بالعملة الذهبية لكثرة المناجم الذهبية في تلك الجهة وكان التعامل التجاري للمعاملات والنقود بثلاث طرق وهي :-

1- الطريقة المقايضة أو المبادلة بالسلع وهذا النظام استغل في العصور الإسلامية اللاحقة حيث استحدثت نظام الشركات في الإسلام ومن ضمن هذه الشركات شركة المقايضة.

٢ طريقة التبادل التجاري - ويكون بالدينار والدرهم حسب قيمة الذهب و الفضة .

٣. طريقة استعمال الصك والسفتجة في الحوالات الضخمة فقد كان العمل سائداً آنذاك بهذه الطريقة وذلك أن أحد الأشخاص صكوك كان يبيع بها ويشترى ويأخذ عمولة عليها

تحصل هذه العمولة الي قيمة درهم على كل دينار وقد ظهر هذا التعامل في مدينة البصرة

باعتبارها مدينة تجارية على الخليج العربي ولشهرة اهل البصرة في التجارة حيث كانت هؤلاء التجارة وكلاء تجاريين في أقاليم العالم الاسلامي

و الصك أشبه بالشيك حالياً فمثل إذا أراد شخص من العراق أن يشتري عقار في سوريا دفع

لصاحب العقار وهو في سوريا بواسطة صك قيمة هذا الدار و خير دليل على ذلك ما أورده لنا الرحالة ناصر خسرو صاحب كتاب سفر نامه الذي كان يتعامل بطريقة الصكوك. وبما أننا قد ذكرنا في بداية كلامنا وبالأخص في الدروس الماضية أنها الفقهاء والعلماء المسلمين حببوا أكثر من القادة باعتبار

الزراعة تبعتها عن حالات الغش لذلك حرمت الشريعة الإسلامية التعامل بالربى ومواد الطعام لان مواد الطعام قابلة للتلف وبطبيعة الحال تؤدي ضرر بالصحة العامة و كان أكثر المتعاملين بالسنجة و الصك هم اليهود المقيمين في الدولة العربية الإنسانية أمثال يوسف بن فنحاس و هارون بن عمران.

الطرق التجارية :

يمكن تقسيم الطرق التجارية إلى قسمين :-

أ- الطرق البحرية .

ب - الطرق البرية

وسوف نتكلم عن كل واحد من هذه الطرق على حده فتبدأ،

أ الطرق البحرية: لقد سلكت التجارة العربية الإسلامية طريقين بحريين الأول يبدأ من

البصرة إلى الهند والصين ثم إلى سيلان وكمبوديا وصومطرة وكان العرب وكلاء في هذه

المدن أما الطريق الثاني فيبدأ من البصرة إلى سواحل الجزيرة العربية ثم إلى البحر الأحمر

ثم إلى شمال أفريقيا حتى مدينة موزنبيق

ب-الطرق البرية - هناك أربع طرق برية سلكتها التجارة العربية الإسلامية ومن أهم هذه

الطرق -

1. الطريق الشمالي يبدأ من بغداد إلى الموصل والجزيرة الفرات ثم إلى بلاد الروم.

٢. الطريق الجنوبي يبدأ من بغداد إلى الكوفة إلى الحجاز إلى جنوب الجزيرة العربية.

٣. الطريق الشرقي يبدأ من بغداد باتجاه بلاد فارس وحلوان وفريان وحمدان وغزوين

والري ومرو وسمرقند ومنه إلى مدينة خوارزم وتنتهي بالصين

4. الطريق الغربي ويبدأ من بغداد إلى سوريا ومصر وشمال أفريقيا إلا أن هذا الطريق كانت تصاحبه بعض المخاوف الكثيرة التي تود التجارة وهم القراصنة وقطاعي الطرق لذلك عمل المسلمون على تأمين مسلحين لحماية هذه الطرق التجارية.

### المحاضرة العاشرة

الصناعة :-

تميزت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بقيام العديد من الصناعات التي تعتمد على المنتجات

الزراعية أو الحيوانية أو المعدنية وبالأخص منها صناعة السيوف والأسلحة والدرع والتي كان مركزها مكة والمدينة والطائف أما في صدر الإسلام فنظرا للظروف التي استجدت على الدولة العربية الإسلامية في هذه الفترة فاضطر الناس إلى التعايش مع الواقع آنذاك إذ كانوا في تلك الفترة أمة عسكرية مقاتلة لذلك برزت اهتمام في الجوانب الصناعية ذات الصلة في القضايا الحربية ومن بين هؤلاء الأشخاص سعد بن أبي وقاص الذي كان مشهور بصناعة النبل و الوليد بن المغيرة كان حداد والزبير بن العوام كان خياط وعند استقرار الفتوحات

الإسلامية حث المسلمين على التفاؤل بالعمل والكسب الحلال وقد أشار القرآن الكريم إلى موضوع الصناعة في عدة آيات قرآنية منها في قوله تعالى : (((وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ))) وقال تعالى أيضا: (((وَعَلَّمَآهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ))) كما نالت الصناعة اهتمام الرسول (أن الله يحب العدل ليتخذ المهنة ويستعين بها من الناس) وقال بن أيضا أن الله يحب المؤمن المحترف ( لقد كانت

الصناعة في بداية صدر الإسلام محدودة ومختصرة على الأسلحة الحربية فقط أن تطور الصناعة في العصرين الأموي والعباسي كان أكثر نظارت صناعات جديدة و اب الحرف في مصر كانت هناك

صناعة الكتان وخصوصا في مديش بنتين والغيوم وكذلك في مصر أيضا صناعة الستائر الثمينة والقماشية الويفي وهو قماش أشبه بالحرير أما في مدينة فارن يوجد مركز آخر في صناعة الكتان حيث كانت مدينة كازرون في بلاد فارس متهورة في هذه الصناعة وقد ذكر المقدسي صاحب كتاب أحسن التقاسيم أن صناعة السكان انتقلت من مصر إلى بلاد فارس أما صناعة الثياب القطنية كانت مدينة بابل التي تصدر من هذه الشباب إلى الصين ومدينة مرو وسينابور

أما صناعة الحرير فكانت دولة بيزنطية متهورة بهذه الصناعة أما صناعة الفرش الصوفية كان مصدرها الأصلي العراق وعبادان أما صناعة العطور بأنواعها فكان مصدرها بلاد فارس شستم

صناعة الطواحين (الأرضة) أما صناعة الورق فكان الموقع الأصلي لها بلاد الصين والعراق وبلاد الشام ولكن الذي اكتسب شهرة أكثر في مجال صناعة الورق وخاصة فسي العباسية المتأخرة العراق وقد وجدت آثار كبيرة في هذه الصناعية المنتشرة على جانبي الكرخ والرصافة وكانت تسمى بدكاكين الوراقين.

أم صناعة الفخار فكان العراق البلد الأول الذي يحتل المرتبة الأولى في هذا المجال أن ألم اليمن فكانت الاب النجرانية ذات السنة الجيدة المشهورة في هذا الرد انتشر هست. د الصناعة بين بلدان العالم الإسلامي ثم ظهرت صناعات أخرى التي احتلت مكانة متميزة أيضا خصوصا صناعة النسيج هناك وبالأخص بنسيج الكساني الذي كان مركزه في بغداد أما صناعة الوشي عند أهل الكوفة (الشاشي) وهو من نوع من القماش الأمين عند أهل الموصل حيث أیه حيث صناعة الشاشي في كافة بلدان العالم وبالأخص في بلدان الترك وقد كان يسمى الغرب باسم (موسليل) وهو تصغير هل الموصل أما مدينة حران كانت مشهورة في الصناعات الإسفنجية والآلات الفلكية والموازين .

**المحاضرة الحادية عشر:**

**العلوم الدينية :**

## أولاً: القرآن الكريم.

يعد القرآن الكريم دستور شامل لكل الجوانب والحياة ولكل الازمان والعصور يعتبر دستور المسلمين على شكل آيات قرآنيه وفي بعض الاحيان على شكل سور كاملة حيث استقر نزول القرآن حوالي عشرين عاماً اثناء عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تبعاً لمقتضيات الحاجة والاحوال التي فيها بها الدولة او الامة الاسلامية وما رافق ذلك من تثبيت لأركان الاسلام ومن حسن حظ العرب ان الله خصهم بفضيلة كريمة على عكس الامم الباقية وهي نزول القرآن بلغه العرب والتي شملت آيات وسوره وكافة الجوانب المقترية اذ شملت فترة نزول القرآن الكريم مرحلتين هي الفترة المكية والمدنية (المدينة) اذ كانت الاولى في مكة ان المسلمين قليلين وتعرضوا للاضطهاد والقسوة في حيث كان اسياذ المدينة ونظراً لأهمية القرآن الكريم لم يترك المسلمون هذه الآيات دون تدوينها وكتابتها وهذا ناتج عن اهتمام العرب في تدوين كافة اعمالهم وحتى في الفترة التي سبقت الاسلام ولولا التدوين لما كان للعرب هذه الاثار العريقة التي خلدت الى يومنا هذا وقد لاقى نزول القرآن اهتمام كبير من قبل الصحابة رضي الله عنهم وذلك لان المسلمين بأمس الحاجة لدستور ينظم حياتهم لقد كتبوها على النخيل وعظام الحيوانات وخصوصاً في الفترة التي مر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومن المعروف ان الوحي انقطع بوفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لذلك ادرك المسلمون تدوين هذه الآيات القرآنية وذلك لاستشهاد عدد كبير من المسلمين في الحروب التي خاضوها ضد المشركين وبالأخص في حروب الردة وهذه الحروب ارهقت كاهل المسلمين لكن عزيمة المسلمين اقوى من ذلك والتي هيه هدفها اعلان شأن الاسلام وقد لاقى النزول القرآني اهتمام من قبل الصحابة وذلك لان المسلمين في تلك الفترة اكثر حاجة الى القرآن الكريم حيث اعطيت المهمة لأبو بكر الصديق رضي الله

عنه بجمع الآيات القرآنية في مصحف واحد وقد سندت هذه العملية التي كاتب الوحي للرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى زيد بن ثابت وقد عثر على مصاحف متفرقة عند بعض الصحابة واستمرت عملية الجمع الى ان ختمها عثمان بن عفان رضي الله عنه مصحف واحد حيث شار الواقع في عملية الجمع ابو موسى الأشعري والى الخليفة عمر رضي الله عنه حيث وزعت هذه المصاحف على اقاليم الدولة العربية الاسلامية بالبصرة والكوفة ودمشق للعمل فيها واعتبار ان دستور الدولة في هذه الاقاليم هو القران الكريم لكن الذي حدث بعد توسيع هذه المصاحف هو اسلوب القرات لهذه المصاحف وهذا ما حدث في زمن والي السواد في العراق هو حذيفة بن اليمان سنة 30هـ اذ كان الجند في هذه الولايات قد حصلت بينهم بعض الخلافات حول الآيات القرآنية وهذا يهدد مستقبل وكيان الامة مما دفع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتأليف لجنة من زيد بن ثابت الرئيس وعبدالله بن الزبير وسعد بن العاص فقاموا بتوحيد القرآن وجمعه وقد اعتمدت اللجنة النسخة التي كانت موجوده لدى حفصه بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لهذا استقر جمع القران الكريم اذ اصبح لهذه الصيغة هو الدستور الشامل لكل جوانب الحياة لذلك لا بد ان يكون اول علوم النشر به التي عرفوها هو القرآن الكريم , وقد اتخذ علوم القران الكريم ثلاثة اشكال:

1- علم اسباب النزول : ويقصد به الاسباب والدوافع التي ادت الى نزول هذه الآيات والاحكام لأسباب واحداث معينة تتعلق بأمر المجتمع واسئلة وجهها المسلمون الاستفسار لحالة معينة تحدث بالمجتمع الاسلامي وذلك لقطع دابر الشك والفصل بالحكم .

2- علم الناسخ والمنسوخ:- والمقصود به وجود آيات تنسخ وتلغي احكام معينة تتماشى او تتأثر بتطور العصور مراعاة للظروف التي يمر بها المسلمون فمثلاً هناك آيات قرآنية توحى الرسول صلى الله عليه وسلم بتحمل اذى المشركين والمصالحة معهم في حين هناك آيات اوصت الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم ثم تطرق القران الكريم الى مسألة أخرى وهي إحدى وسائل المحرمات وهي مسألة الخمر إحدى الآيات القرآنية ذكرت للخمر فيه منافع للناس نسخت هذه الآية التي ذكرت فجاءت لتحريم الخمر وفي قوله تعالى ((ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ))ثم جاءت اية اخرى نسخت واعتبرت ان الخمر رجس من عمل الشيطان وقد اثار علم الناسخ والمنسوخ المشركين الا ان المسلمين كانوا يتأخذوا به من هذا العلم امور تتماشى مع العصر الذي كانوا يعيشون فيه .

3- علم التفسير :- من المعروف ان القران الكريم وسورة وآياته متصلة بأحكام تتعلق بأصول الدين وقد تحتاج هذه الآيات الى تفاسير وبما ان المسلمون يختلفون في مستوياتهم العقلية والعملية اضافة الى علاقتهم بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم والمادة بالعلوم الدينية ويختلف بين شخص واخر وقسم من هؤلاء الناس كانوا بدرجة الصحابة والقسم الاخر بدرجة التابعين والقسم الاخر كانوا بدرجة تابعي التابعين حيث ظهر الحاجة الى تفسير هذه الآيات القرآنية الكريمة وحاجة الناس اليها ومنها الطبري في كتابة المسمى جامع البيان في تأويل اي القران وتفسير الطبري في كتابة تفسير القران العظيم ثم جاء من بعد الطبري ابن كثير وجاءت متأخرة الا ان الناس كانوا يميلون اليها لسهولة اسلوبها منها تفسير الزمخشري في كتابة الكشاف وتفسير القران الكريم لأمام الرازي وتفسير للجلالين جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت: 911هـ) أما برز من المحدثين في تفسير القران هو تفسير المنار للشيخ محمد عبده وقد ظهرت

الحاجة الى التفاسير بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لذلك لابد للرسول تفسير القرآنية بنفسه وظهرت عدة طرق لتفسير القرآن الكريم ومن هذه التفاسير :

أ-التفسير المنقول : هو ما نقل عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ب-التفسير السماعي : وهو ما سمع عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

ج-التفسير المأثور : وهو ما اثر عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم التفسير استند في تفسيره الى رواة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهما زيد بن ثابت وعبدالله بن عباس الا ان اكثر التفاسير شيوعاً في متداول القارئين هو تفسير محمد بن جرير الطبري المتوفي 310هـ.

### المحاضرة الثانية عشر

#### الحديث النبوي الشريف :

يقصد به كل ما صدر عن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عملاً وقولاً وان الحديث فهم بالنسبة لحياة المسلمين فقد اعطوه الصحابة اهتمام كبير بنقل ما سمعوا وشاهدوا من الرسول ويعد الحديث أصل من أصول التشريع الإسلامي وجاء الحديث الظروف محلة في الدولة العربية الإسلامية وذلك بتطور حضارتها حيث ان الكثير من الآيات القرآنية الكريمة اتت بأحكام معينه لكنها لم يأتي بها بتفصيل دقيق و موسوع مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج فقد ذكر في القرآن الكريم هذه الفرائض ليس بتفاصيل دقيقه فالحديث النبوي الشريف إعطاءها تفاصيل أدق وأعمق .

الحديث لم يدون في عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لوجود بعض التداخلات قد حدثت بين عملية جمع القرآن الكريم وجمع الحديث النبوي الشريف فقد

نهى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عن جمع الحديث في هذه الفترة وبالرغم من وجود شارات في جمع الحديث في تلك الفترة على يد الصحابي عبدالله بن عمر بن العاص لكنا مما جاءنا من تأكيدات تاريخية في تدوين التاريخ وما حصل في زمن الخليفة الأموي ( عمر بن عبد العزيز ) قد استدعت ظروف الدولة العربية الاسلامية الملحة في جمع الحديث وخصومات في فترة الخصومات السياسية وخوفاً على الحديث الشريف من الضياع الذاكرة قد تفقد الحديث لذلك بدأ العلماء بتدوين الحديث واسسوا علم يسمى (علم الجرح والتعديل) الذي اضافته الى ذلك اهتم العلماء بالمدن وقد صنف علماء الحديث النبوي الشريف الى ثلاثة أصناف :

1-الحديث الصحيح الذي يخلو من اي اعتراض أو اعلال.

2- الحديث الحسن الذي يخلو من عله إلا أنه فيه .

3-الحديث الضعيف وتوجد عليه اعتراضات كثيرة اضافة الى هذا تضيف الحديث ،  
صنف

تصنيف آخر جاء به الرواة

لحديث وهي:

أ- الحديث المتواتر وهو الحديث الذي يرويه كثير من الناس ولا يمكن تكذيبهم .

ب- الحديث المعروف وهو الحديث الذي يتفق عليه ثلاثة رواة يكون من بينهم صحابي.

ج- الحديث العزيز الذي يأتي عنه اثنين من الرواة أو أكثر.

د-الحديث الغريب الذي ينفرد به راوه واحد فقط..

## المحاضرة الثالثة عشر

### الفقه :

هو المعرفة بعلم الشريعة اما المفهوم العام للفقه هو جميع الأحكام المتعلقة بشؤون الحياة مثل : الزواج ، والطلاق، والمحرمات و القضاء ، والسلم والحرب ، والجوانب الاقتصادية. ونتيجة لتوسع الدولة العربية الاسلامية وازدهار حضارتها ظهرت الحاجة الى الفقه وكان مرجع الفقه هو القرآن والسنة النبوية والرأي والاجتهاد والقياس والإجماع. ففي صدر الإسلام اعتمد المسلمون على الإجماع ثم في عصر الخلافة الراشدة اعتمد القرآن والسنة النبوية الشريفة، ثم ظهرت في تلك الفترة عاهات دينية أخرى وفرق دينية كالخوارج وغيرها. وظهر تنافس بين اهل الرأي والاجتهاد وبين أهل الحديث فأهل العراق يأخذون بالرأي وأهل الحجاز متمسكين بالسنة وهذا يرجع الى كون المدينة موطن السنة النبوية.

الرشيد كلف بزوال كيان الحجاز السياسي نقلت العاصمة الى الشام والعراق وكثير الناس بقوا

متمسكين في مسيرة الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم) ثم ظهرت المذاهب الفقهية في القرن الثاني والرابع والثامن الى القرن العاشر هجري وسوف عن كل مذهب من المذاهب :

1-الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت :

ولد سنة (٨٠) هجرية. وتوفي (١٥٠) مجرية. ولد في الكوفة من اصل غير عربي وربما كان من اصل فارسي او افغاني بدا يدرس الفقه في الثلاثين من عمرة حيث درس لمدة عشر سنوات على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام, حيث لقب بالصادق في لقاء الحديث وقبوله .

فمن تلاميذ ابو حنيفة : أبو يوسف الذي اصح فيما بعد قاضي للخليفة الرشيد لقد كان منهج الامام ابو حنيفة لشديد في قبول الحديث فيه و التمري عنه الأمر الذي جعله يتوسع في القياس فأدخل فيه عنصر جديد يسمى الاستحسان ويظهر التوجه العقلي فهو غالب المذاهب السنية كثلاثة يجيد ويرجع منه الى العقل واعماله في الاجتهاد وهو الأمر الذي وهذا في مهارة كثير نتيجة قدرته في الاستنباط وجرأته في مواصلة المسائل الشائكة لتتمة المحدثين والفقهاء والمحدثين ومن أبرز تلاميذه : ١- حسن الشيباني المتوفي (١٩٨) هجري ، الذي حافظ على مذهب أستاذه واهتم بتدوينه ومسائله وكان العراق الموطن الرئيسي من هذا المذهب كما غدي الديوان الرئيسي لانتشار فقه ابي حنيفة.

## 2-الإمام مالك ابن انس الأصفهاني المدني:

ولد الامام مالك سنة (٩٩) هجرية. وتوفي سنة (١٧٩) هجري ، ولد في المدينة المنورة وفيها وعاش كل حياته ودرس على يد مجموعة من التابعين ابناء الصحابة حتى اصبح حجة في فقه الدين وتفسير الدين ايضا وكان من أساس التشريع عند الإمام مالك بعد القران الكريم والحديث النبوي حيث الاجماع ويقتصر به فقهاء المدينة المنورة باعتبارها الفقه الإسلامي ونبع الثورة وقوة رجالها وثقافتها وكان يقدم الإجماع على القياس لان الإجماع عنده بمنزلة الرواية وهذا بدوره ادى الى مخالفته الجمهور الفقهاء ومن ضمنهم

الإمام أبي حنيفة وذلك يعني غلق باب الاجتهاد ولذلك لا يقر هذا المبدأ ولمالك ابن انس عبارته (أن الناس تتبع لأهل المدينة التي اليها كانت الهجر وبها نزل القرآن الكريم) كما أنه قيد القياس بما سماه الاستصلاح ومصدر عدم الأخذ به إذا كان بذلك ما يضطر بمصالح المسلمين لقد ألف الإمام مالك مؤلفات عديدة كل ما وصل اليها هو كتاب الموطأ وتفسير هذا أول كتابة اهل السنة المدون ثم ألف مالك كتاب آخر سماه (المدونة الكبرى) وهو تفسير موسع الأحكام الكتاب الأول وهي مجموعة رسائل بلغ عددها (١٣٠) مسألة جمعها تلميذه أسد بن فرات توفي الإمام مالك في المدينة المنورة ودفن في البقيع.

٣\_ الامام محمد بن ادريس الشافعي الغزي : ولد الشافعي سنة (١٥٠) هجري. وتوفي سنة ( ٢٠٦ )

( هجرية. وروايات أخرى تقول توفي سنة (٢٠٦) هجرية. و أخرى تقول (٢١٦) هجرية. ولد في فلسطين في أسرة حجازية وقضى شبابه في مكة المكرمة ثم انتقل السن المدينة المنورة حشيش تلقى العلم على يد الإمام مالك وسمع منه الموطأ ولازمه حتى توفي . وقد انتقل الى الشام بعد ذلك بين اليمن وبغداد ومكة ثم نزل مصر سنة ( ١٩٩ ) هجرية.

واستقر فيها بعد أن مات ودفن فيها بدأ الأمام الشافعي كأحد رجال مدرسة الإمام مالك حتى سنة

(١٩٦) هجري . عندما ذهب الى بغداد واتصل بأصحاب أبي حنيفة واتخذ لنفسه عادة جديدة قام

عليها مذهبه وهو التقريب ما بين مدرستي ابي حنيفة و الأمام مالك اي انه روض مبدا  
الاخذ بالحديث سهولة كما روض التشديد بالأخذ بالحديث واشترط شروط عديدة ، ومن  
ناحية أخرى رفض تقدم القياس على الحديث وهو في القياس وقف موقف وسط فلم  
يشدد فيه تشديد مالك ولم يتوسع فيه توسع أبي حنيفة كقبول في ذلك الإمام الشافعي .  
الآلة التي له القياس فيها وهو العلم في أحكام الله عز وجل ولا يمكن لأحد أن يكون  
عالم الا بما قضى قبله من السنة واقاويل السلف، ترك الإمام الشافعي كتاب اسمه الأم  
الذي جمع في كتابه بين دفتي اطراف مذهبه الفقهي الذي يتصف بالفصاحة ، والقيادة  
، والمهارة بالعدل. وله رسالة في اصول الفقه رواها منه تلميذه( الماوردي )

4- الامام احمد بن محمد بن حنبل البغدادي :

ولد سنة ( ١٩٠ ) هجرية . وتوفي سنة ( ٢١ ) هجرية. ولد في بغداد. وقيل في مدينة  
مرو وجمل

الي بغداد وهو طفل رضيع وتنقل ما بين بغداد والكوفة واليمن والجزيرة العربية لجمع  
الحديث ،

واخذ كثير من معلومات الشافعي ولازمه حتى وفاته وكان من خواصه لم يترك الشافعي  
حتى عندما ذهب الشافعي الى مصر، ولقد أسس الإمام أحمد بن حنبل مذهبه علي  
الشريعة الإسلامية ولا مصدر له غير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فأذا أويد  
بحديث صحيح لم يلتفت لغيره وإذا أوجد فتوى من الصحابة عمل بها واذا اوجد حديث  
مرسل او ضعيف ارجعه للقياس وكان الامام احمد بن حنبل يكره الفتوى في مسألة ليس  
فيها اثر ولم يستعمل القياس الا عند الضرورة القصوى ، ولم يؤلف الإمام أحمد بن  
حنبل كتاب او رسالة في الفقه وانما ألف الحديث كتابة الشعير المسند لابن حنبل الذي

جمع فيه ثلاثون ألف حديثا استنقلهما من مجموع سبعة آلاف حديث ضمها في كتابه المسند و علق عليها وشرحها وعقب عليها ابنه عبدالله . توفي الأمام احمد بن حنبل في بغداد ودفن في مقبرة اين شريا سنة (٢٦١) هجرية. ولخصت الكلام عن هذه المذاهب الأربعة حيث تطورت وتتنوعت هذه المذاهب الفقهية المتعددة على يد تلاميذرواتها ومؤلفيها بتلقي قواعد مذهب كل منها وأسس افكاره جيل معدنية من المسلمين لذا وجدنا عبر العصور من كتب التراجم والطبقات والرجال في كل فريق هنالك من الشافعية والحنفية وطبقات المالكية وابن داوود وغير ذلك وجد له معالم رجال كل مذهب ان ذكرنا مسند الامام بن حنبل في الحديث ينفعا الى ان نذكر ايضا جهد لا يقل عنه جهد احمد بن حنبل في الحديث والمتمثل في عمل هذا في مجال الحديث النبوي الكبير وفهم الامام البخاري المتوفي سنة (256) هجري.

### المحاضرة الرابعة عشر

**العلوم والمعارف عند العرب :**

**أولا - اللغة العربية وآدابها :**

لقد عنى العرب منذ العصر الجاهلي في اللغة العربية وادبها التي تشمل اللغة والنحو والصرف والبلاغة وهذا ما نلاحظه من خلال الاثار التي عثر عليها عند البابليين والاشوريين اما في فترة العصور الاسلامية منذ عصر الرسالة كان للغة والأدب أثر كبير في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم ) برز الشعراء وكتاب القصة وخير دليل على ذلك أصحاب المعلقة الستة ، وهم: طرفة بن العبد ، وزهير بن أبي سلمى ، وتطورت كثير في العصور الاسلامية اللاحقة فظهرت الخطابة والرسائل التي تسل لها

ديوان خاص في زمن الإسلام ، سواء كانت هذه الرسائل شخصية أم رسمية والقصص والأمثال وغيرها.

وكان الشعر الجاهلي يمثل جانب حضاري من جوانب الفكر العربي قبل الاسلام حيث مضمونه في الإبداع والإكمال وكان اكثره يتسم بوصف الطبيعة ولكن بتقدم ظروف الحياة أضيفت مواضع الى الشعر القديم عند العرب على العرب القدماء كان الشعر السياسي والحماسي و الغزل المشتري في تلك الفترة لأن ظروف الحياة تتطلب بأن يكون الشعر والأدب هكذا ولكن هذا الدور اضمحل وظهر شعر المديح والثناء ، والشعر الوصفي الذي يعطي نصوصا عن مظاهر الحياة بأكملها وظهر الشعر الصرفي و الزهدي والقصص ، ففي الأندلس ظهر شعر الموشح وفي عصر الخلافة العباسية كان للشعر تأثير واضح على الحياة العامة فوصفها وصفا دقيقا . اما النثر فظهر في صدر الإسلام بشكل بسيط وكان اهم اشكال الشعر ، الرسائل والخط وفي وقد اثرت اللغة والادب تأثيراً واضحاً على الأمم و الشعوب الباقية مثل الفرس والهنود والأتراك وأوروبا فهذا التأثير جاء نتيجة توسع الفتوحات العربية وبالأخص في الاندلس ، ومن بين معلقات العربية في اللغة والأدب هي مؤلفات الجاحظ في كتابة البيان والتبيين ، وابن قتيبة الدينوري، صاحب كتاب المعارف ، وابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد والأغاني لابن فرج الأصفهاني .

## التاريخ:

تأثير مفهوم التاريخ حديثا وقديمة باهتمام كبير من المؤرخين الكبار والفلاسفة حتى تمددت المباحث والكتب في هذا المجال لكون التاريخ معرفة من معارف الإنسانية ويعتبر التاريخ من المعارف المفيدة في دراسة التاريخ والادارة ومن أهم هذه المصادر :

كتب التاريخ العام ، التي تهتم بالجوانب السياسية المعينة من التاريخ الاسلامي ، كان من ضمنها السيرة الرسول محمد (صلى الله عليه و سلم ) وقد كان العرب في بدايتهم قليل الاهتمام بعلم التاريخ وكان التاريخ على اتصال بالعلوم الأخرى من أدب وسياسة واجتماع و الجغرافية ومن ابرز من كتب في كتب التاريخ هم محمد بن اسحاق وابن هشام والزهري والطبري وابن الأثير والمسعودي وابن كثير والذهبي في كتابة تاريخ الاسلام.

## علم الجغرافية:

لقد أولت الظروف على العرب ان يهتموا بعلم الجغرافية لان العرب في بدايتهم كانوا يميلون إلى

الاستقرار حيث كان أكثر العرب قبائل بدوية متنقلة من مكان إلى آخر كما أن السبب الأخر لزيادة العرب بعلم الجغرافية هو كثر الترحال واخر كان الكثير من المسلمين المهنة للتجارة منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي كانت بداية حياته بالتجارة التي ذهب التي ذهب فيها الى الشام وظل العرب علي هذا المنوال الي يومنا هذا ، لذلك ترك العرب معرف كبيرة في المسالك والظروف المؤدية الى البلد كما ربط المرئية الجغرافية في ميدان الصناعة التجارة و عرفوا مسالكها والظروف المؤدية اليها ومن اشهر الجغرافيين ومؤلفاتهم في الجغرافية هو البكري في كتابه المسالك والممالك وابن حوقل في كتابه صورة الأرض والمقدسي في كتابة أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.

## المحاضرة الخامسة عشر

## الفلسفة:

أن أصل كلمة الفلسفة هي كلمة يونانية والفيلسوف هو محبب والحكمة عند احد الفلاسفة العرب بأن الفلسفة كلمة دخيلة على العربية وجاءت بمعنى آخر هي اتيان الحكمة وبمثابة العقل البشري والعقلية العربية فعند البدء صادفها في حياتها الفكرية مسائل شائكة ذات طابع فلسفي لذا أصبحت المسائل الفكرية الفلسفية الشغل الشاغل في حياة الفيلسوف لذلك بشده العقل البشري يفسح لقله وصدرة لهذه المسائل والمشاكل الفلسفية حيث أن الفيلسوف يفسر القوة الخافية وراء عملية خلقها.

تؤخذ مصادر دراسة الفلسفة من (كتاب الإسلام والمعتزلة)

### \* اشهر الفلاسفة:

1-الفارابي: محمد بن محمد بن فرحان و نانو من أعظم الفلاسفة بعد الكندي وله مؤلفات بالمنطق والموسيقى و هو أصل إسلامي ولم يصل في زمانه احد بالرقى في مجال الفلسفة ، تأثر الفارابي بأفكار أرسطو وتنقل ما بين بغداد ومصر وحلب ودمشق ، ويعد الفارابي صاحب فكر فلسفي عميق بعد أرسطو لذلك لابه على افكاره الفلسفية بانها مزيج من افكار ارسطو و افلاطون ، وله مؤلفات في المنطق, واما حياته في بغداد ما الا ضيافة الى حياته الفلسفية ,نكر له مصنفات في الطليعيات وكانت اكثر كتاباته وقراءته تبشر بالحماس للولاء للنظرية الحديثة الافلاطونية .

٢ - الكندي : ( كندة محلة في النجف )

وفي بغداد نظمت فلسفة لأخر عربي و هو الكندي المتأثر شأنه شأن الفارابي بأفكار ارسطو الفلسفية إذ يعتبر الكندي أبرز من قدم محاضرات في الشعر الكتاب

ارسطو وقدم شروحاَ بخصوصه ، وقد عد الكندي بان الفلسفة . اعلى مهنة وصفة للإنسانية وهي أحسن العربية .

3-ابن سينا:

هو ابو الحسن علي بن عبدالله، وهو من اصل مسلم جاء بعد الفارابي و اتقن العربية و عززها باهتماماته بالموسيقى وهو من المتأثرين بأراء ارسطو الفلسفية وهذا ما أكده الكثير من المؤرخين مثل أبن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، ولكن ابن سينا اثنى على أن ثقافة العالم الاسلامي بالفلسفة التي جاءت نتيجة من العرب يتكلم اليونانية . وقد تأثر ابن سينا باستاذة الفارابي وقد فهمه الشفاء : هو كتاب موسع في العلوم الطبيعية والرياضيات و المنطق والفلسفة . أما مؤلفات ابن سينا الأخرى فهي في القانون اذ يعد المرجع الرئيسي في الطب وقد ترجم الى اللاتينية من قبل جيسرا الكريموني ، وهذا الكتاب يعني قرون عديدة في متسائلات وايدي الناس .

4-أخوان الصفا:

وجدت هذه الجماعة في البصرة في القرن الرابع الهجري ومدرسة اخوان الصفا في مدرسة فكرية قامت على اساسي التوفيق والنظريات الفيثاغورسية حيث عرفت اسمائها باسم اخوان الصفا وكانت نتاج هذه الطائفة تضمنت في ظهور العديد من المؤلفات المشتركة وهي مؤلفات توفق بين الفلسفة والنظريات الفيثاغورسية وقد أجمعت مؤلفات اخوان الصفا في احدى وخمسين رسالة عرفت برسالة اخوان الصفا.

### المحاضرة السادسة عشر

**الكيمياء عند العرب :**

## ( اشهر الكيميائيون عند العرب )

### 1- جابر بن حيان :

ولد في مدينة خراسان سنة ( ١٢٠ ) هجرية. من أصل عربي وكنيته ابو موسى جابر بن حيان الأسدي من قبيلة الأسد الكوفي رحل مع أبيه الى خراسان مع الحيات واح لهم ، حاش مسخ السياسيين وكان مقرب منه ليزاوله ولكن بعد ذلك لمزاوله ترك السياسة ، ورجع الى الكوفة الى مهنته الأصلية و هي علم الكيمياء وابن حبان رجل موسوعي ، فبالإضافة الى اهتماماته في علم الكيمياء برع في العلوم الأخرى مثل ، الطب ، والرياضيات والفلسفة، وعلوم أخرى . لقد استمد جابر بن حيان حلمه من الاغريق على نظرية العناصر الأربعة وهي : الماء والهواء والترب والنار. ولهذه العناصر أيضا طائع اربعة وهي : الحرارة والجفاف و الرطوبة والبرودة . وتتشرك هذه العناصر الأربعة فيما بينها بالخصائص ويمكن تحويل العناصر فيما بينها حيث كان أرسطو يقول أن هناك حالة وسط بين النار والتراب هي الدخان في حالة اخرى بين الهواء والماء حيث تتشأ من تفاعل ذه الحالات الفلزات المران استخدامها في علم الكيمياء

وقد ادخل جابر بن حيان على الصناعة أسست جديدة أسمه علم الميزان نجعل لكل الطبائع الأربعة التي ذكرها ميزان خصاص بها وضرب مثلا لذلك فقال : ان الذهب أكثر المعادن تحمل للنار،

كما عرف جابر بن حيان كثير من العمليات مثل التحجير والتشريح و التكلس والتبلور ، وحصر كثي من المواد الكيماوية مثل نترات الفضة وحامض الأمزون كما وصفه تحضير كبريتوز كما نصح جابر بن حيان بالاعتماد على التجربة وليس على النظرية لتحقيق النتيجة الأكيدة. ومن أهم مؤلفات جابر بن حيان في كتاب الخواص الكبيرة

وكتائب النحت والاحجار والأحجار والسر المكمون والرحية الصغيرة ، ويذكر ابن  
المدين في كتابه الفهرس ان هنالك مؤلفات أخرى لجابر بن حيان مثل " الصبغ الأخير  
والزئبق والشعر و كتابه الحكمة وكما ينكر ابن النديم أن اروع كتاب ابن حبان والذها  
هو كتابة السمو وكتاب الإيضاح لذا يعتبر جابر بن حيان اول من ثبت أركان علم  
الكيمياء عند العرب.

## 2-المجريطي:

هو أبو القاسم مسلمة بن احمد المجريطي ولد بمدريد بإسبانيا في مدينة قرطبة أيام  
الحكم الثاني سنة (٩٧٩) هجرية . كان له اهتمامات في جانب علم الكيمياء والفلك  
والرياضيات : تلقي المجريطي علومه لدي اتصاله باخوان الصفا .

من مؤلفات المجريطي كتابه (رتبة الحكم وغاية الحكيم ) لذا ينصح المجريطي الدارسين  
في علم الكيمياء الى التحظن والتمعن والتدقيق والتجربة. لقد سار المجريطي على نفس  
العالم الكيمياء جابر بن حيان وخصوصا مسألة الطبائع الأربعة التي ذكرناها في  
الكلام عن العالم الكيمياء جابر بن حيان وبالأخص في مسألة المعادن وفرزها بعد  
اجراء التجارب الكيمائية عليها. وقد ترجمت كتب المجريطي إلى اللاتينية وعدت من  
أهم مصادر دراسة تاريخ الكيمياء في العالم.

## 3-أبو القاسم محمد بن احمد العراقي :

كيمياء مشهور بارع في مجال عملة وادى الى شهرية كتابة الموزون العلم المكتسب  
في زراعة الذهب وكانت محتوياته اكثرها دافعت دفاع جاد في النظرية تحويل المعادن  
اذا بين العراقي المكانية تسرب المدن يرجع الى طبيعة المدان وتأثير النار.

وكانت اكثر تجارب، محمد بن احمد العراقي لا تمزج في افكار الكيميائيين الذين سبقوه اذا يحد علم الميدانيين العراقي نقطة تحول جديده في علم الكيميائيين كما وصفها المستشرقون.

من المعروف حركة الترجمة كانت بدايتها بسيطة وذلك لقلّة معرفة العرب باللغات الأجنبية لكن وجدت لها بدايات بسيطة وغالبا ما كانت فردية ومحدودة اذا تنكر المصادر التاريخية أن خالد بن زيد بن معاوية بن أبي سفيان كان من أول المهتمين بحركة الترجمة في العصر الأموي لكنه لم يحالفه الحظ في الحقل السياسي والاداري وانصرف الى الجانب العلمي وابداء اهتمامه بعلم الكيمياء فدرس على يد الراهب من الإسكندرية يدعى ( مريانوس) الذي نقل كتاب الكيمياء والذي عنوانه السنية الى اللغة العربية ) أن الطيب اليهودي الأصل من سكنة البصرة الذي تكلم السريانية نقل تانية في الطب للخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز المتوفى سنة ١٠١ اذا يمكن اعتبار عملية تعريب الدواوين عملية جزئية ومنظمة ثم تخليص الدواوين من الدرس الشفوي اما في العصر العباسي فقد نشطت حركة الترجمة نشاط كبير ويمكن أن نحمل قواعد نشاط حركة الترجمة السي العربية في العصر العباسي بالنقاط التالية:

دوافع او بواعث الترجمة الى العربية:

- 1- احتكاك العرب بغيرهم من الأمم والشعوب واطلاعهم على ثقافات جديدة.
- 2- المناقشات المستفيضة والمجادلات بين المسلمين في قضايا القضاء والقدر الإلهية وما اذا كان الانسان مخير او مسير.

3-الجدل الديني بين المسلمين واهل الكتاب من اليهود والنصارى واهل الذمة لذا أحتم علي

المسلمين الرجوع الى دراسة الفلسفة والمنطق اليونانية

4-كان الاسلام عامل مساعد للترجمة اذا ان اكثر الشعوب التي دخلت الاسلام وانظمت الى

حاضرة الدولة العربية الإسلامية بدأت بتدوين معلوماتها الى العربية

5-دعم الخلفاء المسلمين للترجمة وبذل الأموال لذلك وخير دليل على ذلك الأموال تلك الأموال

المقدرة بالذهب التي دفعها المأمون الى حنين بن اسحاق

6-الاهتمامات الفردية بالترجمة التي تبنتها بعض الأسر والعوائل الفنية والمحبة العلم التي قامت

بترجمة الكثير من الكتب من الأجنبية الى العربية وحي مثال على ذلك عائلة المنجم التي انفقت اموال طائلة في سبيل ذلك.

وقد مرت حركة الترجمة في العصر العباسي بحدّة أدوار كان من أهمها :

أ-الدور الأول : ويبدأ من خلافة المنصور وينتهي الى خلافة الرشيد .

ب-الدور الثاني : و يبدأ من خلافة المأمون الى نهاية خلافة المطيع الله حيث ترجمت به كتب

الرياضيات والفلسفة والمنطق.

ج-الدور الثالث: ويبدأ من نهاية خلافة المطيع الله الى نهاية العصر العباسي وقد ترجمت في هذه الفترة كتب الادب .

محاضرات مادة الحضارة العربية الاسلامية - الكورس الثاني- قسم التاريخ -المرحلة  
الثالثة (للدراستات الصباحية -المسائية)

تدريسي المادة : أ.د فواز زحلف

د . طه مخلف عبد الله

## الخلافة:

تعريف الخلافة:

أولاً: الخلافة لغةً:

الخلافة اسم مشتق من الفعل خَلَفَ أي اتبع في الحكم. ومصطلح الاستخلاف في التعاليم الإسلامية هي سبب من الأسباب الرئيسية التي وضع الله بني البشر على الأرض من أجلها؛ كي يعبدوه ويطبّقوا أحكامه التي أرسلها إلى الأنبياء والرسل على مر الزمن.

ولو رجعنا إلى الأصل اللغوي لكلمة خليفة لوجدنا " أن الخليفة في الاستعمال اللغوي، هو من يقوم مقام الأصل الذي ذهب كما يقوم الخلف بعد السلف " والخليفة: السلطان الأعظم ويؤنث كالخليف، والجمع خلائف وخلفاء، وخَلَفَه خلافة: كان خليفته وبقي بعده. " واستخلف فلان من فلان: جعله مكانه..وخلف فلان فلاناً إذا كان خليفته. يقال خلفه في قومه خلافة.

وفي التنزيل العزيز قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) (الأعراف: الآية142).

وَخَلَفْتُهُ أَيْضاً إِذَا جِئْتُ بَعْدَهُ، ويقال: خَلَفْتُ فَلَاناً أَخْلَفَهُ تَخْلِيفاً واستخلفته أنا جعلته خليفتي.. واستخلفه: جعله خليفته " .

### ثانياً: الخلافة اصطلاحاً:

يقول الإمام الراغب الأصفهاني في مفرداته: " الخلافة: النيابة عن الغير، إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أوليائه في الأرض، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) (فاطر: 39) وقال: (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ) (هود: 57).

وليس بالضروري للخلافة أن يكون المنوب عنه ميتاً أو غير موجود. فالإمام الراغب يقول: " خلف فلان فلاناً، قام بالأمر عنه وإما بعده " .

وعرّف د. صلاح الدين دبوسي الخليفة فقال: " هو الرئيس الأعلى للدولة الذي يلتزم بإقامة الدين وتدبير مصالح الناس اقتداءً برسول الله ع .

فالخلافة هي التي يناط بها إقامة شرع الله عز وجل، وتحكيم كتابه، والقيام على شؤون المسلمين، وإصلاح أمرهم، وجهاد عدوهم.

ويطلق لفظ الخلافة ويراد به الإمامة، وعليه درج استعمال الكلمتين لمعنى واحد.

فالإمامة لغة: مصدر من أمّ والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع أئمة، وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين.

أما معناها اصطلاحاً: يقول أبو الحسن الماوردي: " الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ".

- أما إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني فقد عرف الإمامة بأنها: "رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الحيف والخيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفائها على المستحقين ".

مما سبق يتبين أن الخلافة في الاصطلاح الإسلامي تعني القيادة الإسلامية أو الإمامة، ومن هنا يُعلم أن مصطلح الإمامة يرادف مصطلح الخلافة.

وممن يؤكد التماثل المعنوي بين الإمامة والخلافة العلامة ابن خلدون إذ يقول: "وإذ قد بيّنا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة، في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة أو إمامة، والقائم به خليفة أو إمام".

ويذهب أبو الحسن الماوردي إلى نفس الرأي حين يُعرّف الإمامة بأنها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

الملاحظ من التعاريف السابقة أن العلماء لم يفرقوا في الاستعمال بين لفظ إمام ولفظ خليفة وإنما استعملوا كلا اللفظين بمعنى واحد.

## أولاً - الخلافة الراشدة (11هـ - 41هـ):

أسست الخلافة ذات طبيعة سياسية ودينية تقف على رأس الدولة والمؤسسات التي ساهم العرب في ايجادها في تدبير شؤونهم ومجابهه الازمات التي واجهتهم خلال العمل في تنظيم شؤون دولتهم الحديثة.

عرّف ابن خلدون كتابه المقدمة وقال ان الخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة اليها فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسه الدنيا.

حيث كان للنبي صلى الله عليه وسلم وظيفتان:

1- دينية: وهي كونه مبلغ من الله ما يوحى اليه بحكم الرسالة السماوية.

2- دنيوية: وهي امامه المسلمين رؤيتهم ويوجههم الخير وينهيهم عن الشر.

فبالنسبة لموضوع الخلافة تطرق القران الكريم الى هذه المؤسسة الإدارية للدولة العربية الإسلامية فقال تعالى: {واذ قال ربك للملائكة أنى جاعل في الارض خليفة}، البقرة: من الآية 30.

وقد تأتي في مواقع اخرى من القران الكريم بصيغه خلائف ثم قرفه نظم الكتب الإسلامية على ان الخلافة جاءت بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة فهي موضوعة في خلافه النبوة في حراسه الدين وسياسه الدنيا يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم اول من وضع ركائز دوله عربيه اسلاميه جاءت نتيجة كفاح مسلح من اجل تثبيت شعوب الامه وهذا الكفاح دام ما يقارب 11 عام نظم فيها مؤسسات الدولة الإدارية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب المسلمين في حجة الوداع سنة 10 هـ حيث يقول:

لعلي لا الفاكم بعد عامي هذا وحين مرض الرسول صلى الله عليه وسلم بمرض الحمى اختار ابي بكر الصديق رضي الله عنه بإمامه المسلمين في الصلاة في المسجد وبعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم اكد الاسلام على مبدا الشورى خطاب ابو بكر الصديق رضي الله عنه بالمسلمين فقال من كان يعبد محمد فان محمد قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت واكد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان كثير من الانبياء لحقوا بالرب الأعلى ونحن من بعده سوف نلحق بالرب الاعلى ، وفي ظل هذه الظروف ظهرت مشكله في الامه الإسلامية حول من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في خلافه المسلمين حيث ظهر في مساله اختيار خليفه للمسلمين بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث محاور:-

1- المحور الأول المهاجرون ويقودهم أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم الذين رشحوا أبي بكر للخلافة.

2- المحور الثاني الأنصار الذين أعطوا ترشيحهم الى سعد بن عباد الخزرجي.

3- المهاجرون من بني هاشم الذين رشحوا الامام علي رضي الله عنه وهم طلحة والزبير.

وعندما قدمت كل جماعة مرشحيهم للخلافة اجتمعت الآراء على ترشيح أبو بكر رضي الله عنه لخلافة المسلمين، وكان الاجتماع في سقيفة بني ساعدة. وقد تحلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعدة مزايا جعلته أهلاً للخلافة وهي:

1- إمامة المسلمين في الصلاة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

2- صداقته المقربة للرسول صلى الله عليه وسلم.

3- كبر سنه.

وحدثت البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهي البيعة العامة في المسجد والخاصة في السقيفة ، وبعد المبايعة له خطب قائلاً : ( إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ) ، وقد أظهرت الخطبة التي ألقاها أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأنها تستند في سياستها على القرآن الكريم والسنة النبوية ، والسير على خُطى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأكمل أبي بكر الصديق رضي الله عنه تحرير بلاد الشام الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد خطط لها قبل وفاته بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه ، كما تمكن من القضاء على حركات الردة التي تمثلت بادعاء بعض الأشخاص بالنبوءة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي.

ومن الأعمال الأخرى التي قام بها الخليفة أبي بكر رضي الله عنه هو محاربة المرتدين الذين امتنعوا عن دفع الزكاة، والتي اعتبروها أشبه بالأتاوة.

دامت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر، وعند اشتداد المرض بالخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكر يمن يخلف المسلمين بعده، فقام بمشاورة الصحابة رضوان الله عليهم وتم اختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة للمسلمين بعد أبي بكر رضي الله عنه خشية من الفتنة التي سوف تقع بين المسلمين إضافة الى ذلك أنه كان من المسلكين الأكفاء حيث قدم للإسلام خدمة جليلة.

وعندما استلم الخلافة خطب خطبة في المسلمين وقال: (وما انا الا رجل منكم ولولا أنى كرهت ان أرد امر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقلدت امركم) فبدأ الخليفة عمر رضي الله عنه بترسيخ قواعد الدولة العربية الاسلامية فأكمل تحرير الارض العربية في بلاد الشام وقام بتدوين الدواوين وتقييم الجند وكتب التاريخ وفرض العطاء وتحسن النظام المالي وأنشأ التقويم الهجري وجند الاجناد ومصر الامصار واستقضى القضاة.

كل هذه الامور التي ذكرناها عن خلفه عمر رضي الله عنه في ارساء قواعد الدولة العربية الإسلامية خلال فتره حكمه او خلافته التي دامت عشر سنين وبضعة ايام التي انتهت بطعنه من قبل ابو لؤلؤة المجوسي و هو عبد المغيرة بن شعبة ، وقد ترك الامر بعد وفاته شورى لخلفه المسلمين وهذا الامر مثله نخبه من الصحابة وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه حيث استقر راي المسلمين الاختيار الخليفة عثمان بن بعد ان تنازل عبد الرحمن له وبقيت مسألة الاختيار بين الخليفة عثمان والامام علي فرجعوا الى الشورى ، وانتقلت الخلافة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أقسم حين تسلم منصب الخلافة السير على خطا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما والعمل بالقران والسنة النبوية الشريفة . وقام الخليفة عثمان بإكمال معظم حروب التحرير في البلاد العربية الاسلامية فقام بتحرير ارمينيا وبلاد فارس وشمال افريقيا وبلاد المغرب، ولا يفوتنا ان نذكر ان اهم عمل جليل قدمه الخليفة عثمان رضي الله عنه جمع النصوص القرآنية في مصحف واحد. وبعد حدوث كثير من المشاكل الاقتصادية في

عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه انتهت في مقتل خليفه الذي لا نريد الدخول في تفاصيل مقتله لان موضوعنا هو الكلام عن مؤسسة الخلافة وليس ما يخص مقتل عثمان رضي الله عنه. وبعد ذلك انتخب الخليفة الامام علي رضي الله عنه لخلافه المسلمين لمزايا عديده يمكن ذكر قسم منها وهي قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وغزاره علمه وسعه حكمه ، ولكن الخليفة علي رضي الله عنه لم يكن متحمسا لخلافة المسلمين بعد مقتل عثمان رضي الله عنه اذ كانت البيعة للخليفة علي رضي الله عنه يوم الجمعة المصادف 35 هـ الا ان المشاكل التي تركتها الفترة في مقتل عثمان جعلت الخليفة علي رضي الله عنه نقل مركز الخلافة من المدينة الى الكوفة وبعث عمار بن ياسر وولده الحسن الى الكوفة يطلب منها البيعة اضافة الى ذلك عدم وجود جيش للخليفة علي رضي الله عنه في المدينة وبذلك قرر لهذه الاسباب التي ذكرناها الانتقال الى الكوفة ثم الى البصرة حيث نجح الامام علي رضي الله عنه في معركة الجمل وفرضت السياسة المركزية آنذاك ولكن الامام علي رضي الله عنه لم ينجح في معركة صفين لأسباب تاريخيه منها ظهور حركه الخوارج وخيانة اهل الكتاب (العهد) وكانت اخر معركه هي معركة النهروان في عهد الامام علي رضي الله عنه بعدها انتهت خلافة الامام علي رضي الله عنه ، وقد فقدت الامة خيرة رجالها في تلك الفترة.

ونستنتج في كلامنا هذا عن مؤسسة الخلافة ان الرسول محمد صلى الله عليه هو الذي وضع الركائز الأولى لمؤسسة الخلافة التي سارت الى نهاية الخلفاء الراشدين، الا ان مؤسس الخلافة شهدت تغيير واضح في مسارها التاريخي وخصوصا في عهد الخلافة الأموية والعباسية والتي سوف نتكلم عنها في الدروس القادمة.

**ثانيا- الخلافة في العصر الأموي:**

لم يخلف الامام علي رضي الله عنه احد من بعده كخليفة لأنه بعد ان طعن رفض ان يأمر الناس بان يبايعوا شخص معين قد اجتمعت كلمه اهل الكوفة على بيعه ابنه الحسين لان معاوية استطاع بنتها ان يتقلد منصب الخلافة بعد ان تنازل عنها الحسن بن علي رضي الله عنه الذي ادرك بذكاء رجحان كفه معاوية وبذلك حرص الحسن على حقن الدماء و كان نجاح معاوية من وجهه نظر بعض المؤرخين هو القضاء على فكره الانتخابات السابق في الاسلام والتأكيد على مصدر القوه والنفوذ في الوصول الى الحكم والخروج على المبدأ الاسلامي القائل بان مصدر السلطة الهي وضرورة بيان راي الأمة في المرشح كما ان هناك وجهه نظر اخرى لمؤرخين اخرين حيث يرون ان ما قام به معاوية لجمع كلمه المسلمين اذ كان معاوية من الصحابة والمجاهدين الاوائل الاسلام ضد الروم دفاعا عن الاسلام.

اكنت النظرية السياسية للأمويين بان الخليفة وخليفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك فان طاعته كانت بمثابة طاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فان فكرة السلطة مجسمة في شخص واحد بالذات تظهر في المجتمع الإسلامي ، وهي فكره غريبه على المجتمع العربي اذ اصبح نظام الخلافة أشبه بالنظام القبلي ، وقد عارض الكثير من الفقهاء هذه النظرية الأموية لان النظرية الاموية للخلافة جعلت الخليفة زعيم سياسي اكثر مما هو زعيم ديني واعتبر الفقهاء المعارضون بأن الخلافة عند الامويين هو ان معاوية ملك وليس خليفة واعترف بذلك اليعقوبي حينما قال ان التقاليد الاموية هذا على ان يكون الخليفة من ابوين احرار .

لقد ادخل معاوية نظام جديد في الخلافة وهو مبدأ الوراثة وهذا دليل واضح حينما دعا شيوخ القبائل السورية بضرورة انتخاب ولي العهد وأقنعهم سواء في العطاء او بالتهديد كما أرسل وفود الى الاقاليم ليحصل على البيعة العامة وقد عارضت الحجاز سياسة الامويين خصوصا في البيعة ومن المعارضين في الحجاز هو الحسن بن علي رضي الله عنه.

ثم تقلد من بعد معاوية ابنه يزيد ثم ابنه معاوية الثاني ابن يزيد وانتقد سياسة جده وابيه في الحكم اذ لم يكن معاوية الثاني كما يشاع انه من الخلفاء الضعفاء بل كان رجلا زاهدا في الدنيا وبعد ان توفي دعى الناس الى الرجوع الى الشورى ومعارضة السياسة الأموية ، وهذا الامر دعا اليه اهل الحجاز ولكن تيار الوراثة لاقى وراثه في بلاد الشام و خاصة في دمشق ثم رشح من بعده خالد بن يزيد لكنه لقي معارضة من بني امية فرشح نجله مروان بن الحكم حيث نجح مروان في حصر الخلافة لولديه عبد الملك وعبد العزيز اذ تمكن عبد الملك من تبديل اركان الدولة العربية الإسلامية في ظل حكمه ، فقاتل الروم وكان حادق قوي للعلم تمكن من خلع اخيه وتولية ابنه الوليد ثم سليمان .

ثم خلفه من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز و خلافة عمر تمثل انتقاله كبيره في مسار الدولة العربية الإسلامية وسياساتها ثم بعد فتره قصيرة سلمت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك ثم بعده هشام بن عبد الملك ، وفي الحقيقة ان هشام قدم خدمه كبيره للدولة الإسلامية خصوصا في المجال الاقتصادي والعمراني والسياسي وكان من اشد خلفاء بني امية حزما وقد طمع في الخلافة لابنه مسلمه و خلع الوليد اخيه ولكن هذه الفكرة لقيت معارضة من اهل الراي واستلم الخلافة من بعده الوليد بن عبد الملك اخر خلفاء بني امية ويعد هذا الخليفة اخر خليفة لنظام الوراثة الذي لقي المعارضة الداعية الى الشورى المتمثلة بخلفاء بني العباس.

### ثالثا- الخلافة العباسية:

لقد اشرنا سابقا ان حكومة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قائمه على الوحدة الدينية التي حلت محل الوصية القبلية بالرغم من اننا لم نعثر على شيء يؤكد أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ترك رواية على انه من يتولى الخلافة من بعده ، لذلك أصبحت الخلافة بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم محل صراع عنيف بين الكتل السياسية التي نكرناها في كلامنا عن الخلافة الراشدية ( المهاجرين والأنصار ) بدل ما أصبحت سلطات الخليفة محل

جدل بين الفرق الاسلامية في ما يتعلق الامر بالخلافة العباسية فإننا نستطيع ان نقسم عصر الخلافة من ناحية الخلافة فترتين متميزتين:

1- العصر العباسي الاول ويسمى العصر الذهبي في تاريخ بني العباس ويبدأ منذ تأسيس الدولة العباسية سنة 132 هـ حتى سيطرة الاتراك على مقاليد الحكم سنة 247 هـ اغلب الخلفاء في هذه الفترة اقوياء بيدهم السلطة والنفوذ.

2- العصور العباسية المتأخرة وتبدأ من عام 247 هجرية الى سقوط بغداد سنة 656 هـ وتشمل أربع فترات متميزة:

أ- فترة النفوذ التركي 247 هجري الى 334.

ب- فترة التسلط البويهي وتبدأ 334 هـ حتى 447.

ت- فترة التسلط السلجوقي وتبدأ في 447 هـ اي فتره نهاية التسلط البويهي حتى عام 556 هجري.

ث- متى واستقلالها القصير التي انتهت هجوم المغول على بغداد عام 656 هـ/ 1258 م، وسوف نتكلم على كل فتره من هذه الفقرات بصورة مبسطة فنبدأ بالعصر العباسي الأول:

بعد أن كان نظام الوراثة في العصر الاموي وراثي وفق صفة دنيوية أصبح نظام الخلافة في العصر العباسي وراثي ايضا لكنها تجمع بين الصفة الدينية والدنيوية حصل تطور كبير في نظام الخلافة بمجيء العباسيين تطور ملحوظ فقد اعتمد ثلاث اسس لدعم حقهم في الخلافة وهو حق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الحرف حق القوة وهذه الاسس جسدها الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور حيث استلام منصب الخلافة.

## الوزارة :

نشأت نظرية الوزارة من أوليات بسيطة وتتدرج بالتطور هي مثل سابقتها مؤسسة الخلافة لم تكتمل نظمها ومعالمها الا بفتر متأخرة وبذلك ان الباحث يشعر بوجود فجوة كبيرة بين الواقع العلمي والنظري، ومع هذا أن التعريف بنظرية الوزارة مهم لفهم التفكير السياسي والإداري والإسلامي وعلى العموم ان الوزارة الاسلامية تصنف من الناحية النظرية الى صنفين رئيسيين هما:

1- وزارة التفويض: والوزير في هذه الوزارة يصبح له سلطة مطلقة في الحكم والصراف والتولية والعزل وإطلاق المال ويجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه وينظر في المظالم ويتولى الجهاد احيانا لذلك يسميه البيوطي صاحب كتاب (نائب الملك) ومن أشهر وزراء التفويض في عصور الوزارة الاسلامية هي وزارة التفويض لعائلة البرامكة (يحيى بن خالد البرمكي) وأبناء الفضل جعفر وزاره الفضل في عهد المأمون كانت تسمى بالرئاستين أي الحرب والسلام.

2-وزارة التنفيذ: الوزير في هذه الوزارة بين الخليفة وبين الرعية والولاية إذاً فهو معين على تنفيذ الأمور وليس بوالي عليها ومن أشهر وزراء التنفيذ أبو أيوب المورياني في خلافة المنصور وقد أورد لنا صاحب الاحكام السلطانية البرق بين وزارتي التنفيذ والتفويض ويمكن تلخيص الفروقات بما يلي:

1- ان وزير التفويض يباشر الحكم بنفسه وله الحق النظر في المظالم.

2- وزير التفويض له الحق في تعيين الأموال وأموال الخراج.

3- ان لوزير التفويض الحق تفسير الجيوش وتدبير أمر الحرب.

4- إن لوزير التفويض الحق في التصرف في الشؤون المالية والتصرف بالأموال الموجودة او (تعيين وجهات النظر في صرف الاموال) الموجودة في بيت مال المسلمين وهذه الأمور التي ذكرناها عن وزارة التفويض لم تكن موجودة في وزارة التنفيذ.

وتقترن الوزارة بأربعة شروط وهي:

1- الحرية.

2- الإسلام.

3- العلم بالأحكام الشرعية.

4- المعرفة بأمر الحرب وهنا معمول به في وزارة التنفيذ وغير معمول به في وزارة التفويض على ألا يجوز لوزير التفويض أن يعزل من عينه الخليفة او يولي العهد لخليفة المستقبل كما باستطاعة الخليفة عزل وزير التفويض إذا شاء، ولا بد أن نؤكد ثانيةً بأن الاصطلاحات الملصقة بالوزارة التنفيذية والتفويضية هي اصطلاحات نظرية اتفق عليها الكتاب المتأخرون، وليس لها واقع وتسمية فعلية خلال العصر العباسي وإنما بسط الكتاب تلك القواعد النظرية والشروط المحددة بعد متابعتهم لتطور الوزارة عبر العصور التاريخية.

إن أصل كلمة وزير تعد كلمة عربية وأوجه اشتقاقها ثلاث ، فهي إما مأخوذة من الوزر وهي الملجأ لأن الملك أو الخليفة يلجأ الى رأي الوزير ومشورته ، أو مأخوذة من الأزر وهي الظهر لأن الخليفة يتقوى ويستند الى وزيره كما يستند البدن الى الظهر ، وقد وردت كلمة الوزير في القرآن الكريم في قوله تعالى { واجعل لي وزيراً من أهلي } (طه : 29) ، ويرى آخرون أن كلمة الوزير مشتقة من الوزر وهو الثقل لأن الوزير يحمل عن الخليفة أشغاله وأثقاله ومسؤولياته ، ويرى الزمخشري صاحب كتاب أساس البلاغة بأن وظيفة الوزير هو أن يؤازر الملك أعباءه فقد

قال الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه للأَنْصار أثناء المشاورة حول موضوع الخلافة ( منا الأَمراء ومنكم الوزراء ) ، وعن زيد بن ثابت ( نحن أنصار الله ووزراء رسوله ) .

وعند الكلام عن بداية الوزارة التاريخية نجد أن لكلمة الوزارة بدايات في التاريخ العربي قبل الإسلام ، وقد وجدنا كلمة الوزير في بعض أشعر العرب كما سُمى العرب بعض أبنائهم بهذه الكلمة ، وهذا يدل على شيوع الكلمة واستعمالها لدى العرب قبل الإسلام ، ثم بدأ ظهورها أكثر وضوحاً في العصر الإسلامي ( عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ) ، أما في العصر الأموي فقد وردت كلمة وزير في نصوص متعددة ومعاني مختلفة فقد جاءت في رواية تاريخية ( أن محمد بن حنفية سمي المختار الثقفي وزير أمتي ) ، وتأتي هنا بمعنى المندوب والممثل وفي رواية أخرى ان حماية الخليفة وأمرء البيت الأموي كانوا يسمون بالوزراء ، وحين قدم ابن الحضرمي يحرض الناس ضد الامام علي رضي الله عنه قال له الظمأ الهلالي ( افتأمرنا أن نختبئ سيوفنا ثم نقرب بعضنا لبعض ليكون معاوية أمير وتكون له وزيراً).

ولقد ورد لنا العديد من الوزراء والكتاب عدد من الوزراء الذين تولوا منصب الوزارة في العصور العربية الإسلامية ونتيجة لما تقدم عن كلامنا عن مؤسسة الوزارة يدل لنا بان كلمة الوزير اصلها عربية بالرغم من أن بعض المستشرقين قد ارجع هذه الكلمة إلى أصل إيراني قديم فيرى أحد المستشرقين في دائرة المعارف الاسلامية أن كلمة وزير مشتقة من كلمة بشير او فيشر الإيرانية وهي تعني القاضي على ان عمل القاضي يختلف تماما عن عمل الوزير كما أن التشبه بالألفاظ لا يعني الاقتباس وان لغوي العرب اهتموا بتغيير أو تمييز الكلمات الدخيلة الى العربية وحاولوا إرجاعها إلى أصولها العربية فقد أجمع كل المؤرخين على أن كلمة وزير عربية وهذا ما استندوا إليه في القرآن الكريم والروايات التاريخية و عند العرب قبل الإسلام وفي العصر العباسي نلاحظ بالرغم منه ظهور الكثير من المداخلات التي أدخلها الساسانيون على نظام الوزارة وأصلها ألا أن الكتاب العرب تصدوا لها بشدة وارجعوها إلى أصولها العربية ومن

أبرز هؤلاء الكتاب العرب محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب (الوزراء) والمؤرخ الصابي صاحب كتاب الوزراء ايضا.

أما المؤرخون المعاصرون فهم الدكتور عبد العزيز الدوري صاحب كتاب النظم الإسلامية والدكتور سلطان توفيق اليوزبكي صاحب كتاب الوزراء نشأتها وتطورها في العصور الإسلامية وهي رسالة ماجستير محفوظة في المكتبات العراقية.

أما مؤسسة الوزارة في العصر العباسي فعندما انتقلت الخلافة الى العباسيين لم يكن منصب الوزير موجود بالرغم من معرفة العرب به فقد ظهر هذا المنصب الى حيز الوجود في الدولة العربية الإسلامية اول مره في العصر العباسي وتذكر الروايات التاريخية العربية كان الجيش العباسي الذي دخل الكوفة في الحادي عشر سنة 130 هـ سلم إلى سلمة الخلال في الكوفة وسموه (وزير ال محمد) وهكذا أظهر منصب الوزير من الناحية العملية لذلك قال الموانع الفخري صاحب كتاب الآداب السلطانية والولايات الدينية، لأن الوزارة لم تستقر امورها وتقرر قوانينها الا في دولة بني العباس فأما بعد ذلك فلم تكن القواعد مرتبه ولا القوانين مقررّة بل لكل واحد من الملوك اتباع وحاشية فإذا حدث أمر قام بمشاورة ذوي الخبرة والرأي، فلما سلمت الوزارة في البداية لم تكن تتعدى كثيرا سوى المنصب الذي ذكرناه وهو مستشاري الملوك، ألا إن بمجيء بنو العباس تعززت الوزارة وسمي الوزير وزيرا اذ ان مسؤولية الوزير لم تكن في البداية تتعدى كثيرا مسؤولية الكاتب في العصر الأموي بحيث أن أبي مسلم الخلال لم يكن سوى مشاور للخليفة ولم تكن الدواوين كلها بيده فقد كان ديوان الجند والذي هو أهم ديوان في الخلافة العباسية وديوان الخراج أيضا بيد خالد بن يحيى البرمكي و لم يكن لأبي مسلم الخلال سوى الاسم على الكتاب ويعد مجيء الخليفة المنصور الى الخلافة تحول جذري مؤسسته للوزارة فقد كان الوزير مع عهده لا يتعدى عملة التنفيذ.

ولم يكن للخليفة وزير دائم وإنما كان يتخذ كاتباً بين يديه ومن أشهر وزراء أبي جعفر المنصور أبو أيوب المورياني قد استمر هذا الوزير بالعمل إلى أن توفي وزير المنصور المشهور الربيع بن يونس لأن المنصور كان له في عصره وزيرين هو أبو أيوب المورياني الربيع بن يونس الذي اشتهر بذكائه وحسن سياسته مؤدي دور كبير في البيعة للمهدي قد كانت مؤسسة الوزارة في عهد المهدي قد شهدت استقرار نسبي وهذا معكوس على الاستقرار الذي شهده عصر الخليفة المهدي من الناحية السياسية حيث كان المهدي يميل إلى الترف لذلك طغت شخصية بعض وزرائه عليه ولا سيما الوزير يعقوب بن داود وهو شخصيه قويه وجذابه في خلافة المهدي وقد استأزر من بعد يعقوب ثلاث وزراء للمهدي وهم:

1- أبو عبيد الله وهو معاوية بن يسار الذي بقي في الوزارة لمدة 4 سنوات حيث فوض إليه ادارة المملكة وإدارة الدواوين ايضاً.

2- يعقوب بن داود الذي عاد ثانياً إلى الوزارة وقضى مدة قصيرة في خلافة المهدي.

3- الفيض بن صالح وكان من طبقة الكتاب تربي في الدولة وتأدب وبرع في الكتابة وهذا ما نلاحظه بأن الوزارة ترسخت في عهد المهدي وهي وزارة نفوذ، ولكن الخليفة كان ولا يزال يتمتع بسلطة كبيرة حيث يحق للخليفة عزل من يشاء من الوزارة.

ففي عهد هذا الخلفية فتحت افاق جديدة ويعود ذلك إلى اعتماد الخليفة إلى عائلة معروفة وهي عائلة البرامكة.

فقد استأزر الرشيد ابن يحيى البرمكي وأعطاه سلطة واسعة حيث أشرف على الدواوين كافة وعهد إليه بالتوقيع بدل من الخليفة على كل امر يصدر كذلك سلمه أكبر ديوانين في مركز الخلافة وهو ديوان الجند وديوان الخراج والتي كانت هذه الدواوين محصورة لدى الخليفة كما كان ليحيى البرمكي مساعدين هما الفضل البرمكي وجعفر أيضاً من عائلة البرامكة فقد ساعد الفضل وجعفر هؤلاء على تقوية نفوذ البرامكة هذا فيما يخص مؤسسة الوزارة في عهد الرشيد.

أما مؤسسة الوزارة في عهد المأمون فقد أصبح الفضل بن سهل وزيرا للمأمون ولذلك لقب بذي الرئاستين ويقصدا بها رئاسة الحرب ورئاسة التدبير فقد قام الفضل بن سهل بتدبير أصول الوزارة ومظاهرها لكن الفضل بن سهل طغى في تصرفاته في أمر الوزارة فشعر الخليفة المأمون من أن الوزير الفضل بن سهل أصبح يشكل خطرا عليه مما أدى بالخليفة إلى غزله عن منصب الوزارة وعين بدله محمد بن عبد الملك في منصب الوزارة طيلة فترة خلافة المأمون حتى فترة خلافة المعتصم أي أن محمد بن عبد الملك يعتبر وزير لخليفتين هما المأمون و المعتصم وبذلك بعد هذه الفترة دخلت الوزارة محصلة أخرى في التاريخ بدايتها في العصر العباسي الثاني وهي فترة اضطرابات نتيجة لدخول العناصر الأجنبية في مؤسسة الوزارة حيث أصبحت مؤسسة الوزارة ضعيفة في تلك الفترة ولا تتعدى في مهامها سوى مطامع الوزارة الشخصية فقد دخلت وزارات عديدة في حاضرة الدولة العباسية في تلك الفترة ومن أهم هذه الوزارات هي الوزارة في عهد الخليفة المقتدر بالله وهي وزارة الفرات ووزارة عيسى بن الجراح في عهد الخليفة المقتدر بالله أيضا وقد استغلت العناصر الأجنبية بما فيهم المغول ضعف بعض الخلفاء وبالأخص الخليفة المقتدر بالله حيث استلم الخلافة وكان عمره 13 عاما واستلم هذا المنصب حيث ضعفت شخصية الخليفة مما أدى بالوزارة إلى الهاوية ومن العناصر الأجنبية التي دخلت في فترة خلافة المقتدر بالله هو مؤنس ( المظفر ) وهو من اصل تركي إلى منصب قائد الجيش العباسي وهذا ما أثر تأثير سلبي على مؤسسة الوزارة وكذلك عهد الخليفة الراضي بالله أيضا ضعفت مؤسسات الوزارة نتيجة تدخل العنصر الأجنبي في هذه المؤسسة .

أما مؤسسة الوزارة في عهد التسلط السلجوقي والتي لم يبقى لها (المؤسسة الوزارة) شأن يذكر بالنسبة للعرب ولا للخليفة للدور المتعارف عليه.

## الكتابة

لقد تطورت الحركة العلمية في الإسلام تطوراً كبيراً وهذا ناتج الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ البدايات الأولى في صدور الإسلام فقد أمر كل واحد من أسرى بدر أن يعلم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحهم وبعدها نشطت الحركة العلمية في قلة والمدينة فقد ذكرت كتب التاريخ واليسر عدد من الصحابة الذين انتقلوا إلى الرسول (صلى

الله عليه وسلم) أمثال الإمام علي وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت حيث كتب له سور القرآن وبعض الكتب التي أرسلها إلى الملوك يدعون إلى الإسلام واستمرت وظيفة الكتابة في العصر الراشدي فلما تولى أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الخلافة كان عثمان بن عفان كاتباً له يكتب له الكتب إلى القادة والملوك.

واتساع الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ظهرت الحاجة الماسة إلى الكتابة ووجود الكتاب في الأمصار خاصة بعد أن دونت الدواوين إلى اللغة العربية بعد أن كانت تكتب في قارة وفي المدينة المنورة مركز الدولة وكانت هناك طائفة من الكتاب أما في نهاية العصر الراشدي فكان عبد الملك بن مروان يكتب إلى عثمان على ديوان المدينة وأبو جبير الأنصاري على ديوان الكوفة أما في العصر الأموي فقد ارتقت وظيفة الكاتب إلى مستوى أفضل حيث كان لمعاوية بن سفيان طائفة من الكتاب لكتابة الرسائل إلى الولاة على الأقاليم وكذلك للدواوين كانت لهم كتاب من هذه الدواوين الجند والخراج وديوان الخاتم وهناك كاتب آخر إلى القضاء وآخر إلى الشرطة والمظالم.

إن الاهتمام الذي أولته طبقة الكتاب من قبل القادة والملوك هو إلى تحرير الرسائل الرسمية التي لتخص الشؤون الداخلية والخارجية إلى الدولة وقد أنشأت طبقة من الكتاب في العصر الأموي أما الكتابة في العصر العباسي فيمثل قمة الازدهار من الكتابة ووظيفتها ضبط أصولها ونظراً لتعدد المؤسسات الإدارية في الدولة ظهرت الحاجة إلى الكتابة وضيفت مهن جديدة إلى الكتابة ككتاب السجن والقضاء والشرطة.

## الحجابه:

ظهرت وظيفة الحجابه نتيجة إلى التطور الإداري الذي حصل في مؤسسات الدولة الإسلامية وان وظيفة الحجابه لم يعرفها المسلمون في صدر الإسلام ولا في العصر الراشدي وقد أوجدها

معاوية في أول أيام خلافته وبعد أن استقرت هذه الوظيفة في العهد الأموي تكلمته أكثر في العصر العباسي وقد عرفها ابن خلدون الحجابة هو حجب السلطات عن العامة ولم يكن مفهوم الحجابة واحداً في المشرق والمغرب ففي العراق كان يقوم بما يقوم به رئيس التشريفات بينما في الأندلس كان يتمتع بسلطة الوزارة لذلك اطلقوا عليه بذي الوزارتين لجمعه بين السلطتين السيف والقلم ومما يؤكد على استقرار هذه الوظيفة الإدارية القوائم التي ذكرها المؤرخون عن فترة الخلافة العباسية منذ تأسيسها وحتى سقوطها 656هـ وقد وجدنا الكثير من التجارب في عهد الناصر لدين الله الذين عينهم بوظيفة الحجابة على الدواوين ومن هذه الدواوين ديوان الغدير. ولم تقتصر الحجابة على دار الخلافة وإنما كانت الحجابة لبعض الموظفين ذوي السلطة العليا خصوصاً الوزراء والقضاة وصاحب الشرطة أو كان هؤلاء حاجب خاص به.

## الدواوين في العربية الإسلامية:

تعتبر الدواوين ظاهرة متميزة في الحضارة العربية الإسلامية كما انها في نفس الوقت أحد الأعمدة الأساسية للنظم الإسلامية فقد ورد ذكر الدواوين عند العرب قبل الإسلام م خلال البحوث والدراسات عند المؤرخين والآثاريين إذ نجد أصل كلمة ديوان عند العرب قبل الإسلام هي كلمة (دب) وهي من الآشوري للعرب قبل الإسلام.

أما مكانة الديوان في العصور الإسلامية فقد لاقت اهتمام كبير منذ عصر الخلافة الراشدية وبالأخص في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وذلك للتوسعات التي احدثتها حروب التحرير في البلاد العربية الإسلامية كذلك لوجود أمصار خارج حدود الدولة العربية الإسلامية حيث تتطلب هذه الأقاليم والأمصار مؤسسة تنظيم شؤون الحياة اليومية منها وبالأخص مسألة الجزية والخراج والواردات المالية الأخرى في الدولة العربية الإسلامية كما إننا لا ننسى أن موضوع الديوان قد لاقى اهتمام كثير في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) والخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلا أن ظهور المؤسسة كان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بحيث استحدثت ديواني الجند والخراج ومن هنا يمكن ان نعرف الديوان بأنه موضع أو سجل يحفظ مقدار وأعطيات (عطاء) وأرزاق الجند وقد عرفه ابن خلدون أيضا هو السجل ونتيجة للتطورات الكبيرة التي حدثت في الدولة العربية الإسلامية استحدثت دواوين بعد ديوان الجند والخراج وذلك لعدم تمكن ديوان الجند والخراج من الإيفاء بتنظيم الحياة اليومية ومؤسسات الدولة الأخرى وتمشية تنظيم الحياة اليومية ومؤسسات الدولة الأخرى وتمشيتها ففي العصر الاموي استحدثت عدة دواوين البالغ عددها ما بين سبعة الى تسعة دواوين بحيث أختص كل ديوان بمهمة في تنظيم أمور الدولة ومن هذه الدواوين في العصر الاموي ديوان الجند ، ديوان الخراج ، ديوان الرسائل ، ديوان البريد ، ديوان الاختام ، ديوان الصدقة ، ديوان النفقات ، ديوان العطاء ، ديوان الجزية ، وسوف نتكلم عن بعض هذه الدواوين وكما يأتي :

1-ديوان الخراج: -

وهو من أهم الدواوين في الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ويتولى هذا الديوان تنظيم الخراج وجبايته، وكان الكاتب الأول في هذا الديوان هو سرجون بن منصور، حيث كانت اللغة السائدة في هذا الديوان هي اليونانية.

#### 2-ديوان الجند: -

وقد بقي هذا الديوان على الأساس الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومهمة هذا الديوان حفظ السجلات بأسماء المقاتلة، وانسابهم، وأرزاقهم، وعطائهم.

#### 3-ديوان الخاتم: -

وكان اول من أنشأ هذا الديوان، معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه وقد استحصل هذا الديوان على أثر تزوير حصل في إحدى الرسائل التي كتبها معاوية إلى واليه زياد بن أبيه والتي أمر فيها حامل الرسالة بمبلغ مئة ألف دينار فقام حامل الرسالة بتزويرها الى مئتي ألف دينار وهذا الديوان تحفظ فيه نسخة من رسائل وأوامر الخليفة الإدارية والعسكرية بعد أن تختم النسخة الأصلية بالشمع.

#### 4-ديوان الرسائل: -

والمعروف عن هذا الديوان أنه كانت له أوليات معروفة منذ عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذي استخدم عدد من الأشخاص لكتابة سجلات الدولة ومن أبرزهم زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وقد ظل قتيبة في عهد الخلفاء الراشدين حيث استخدم عدد من الصحابة في تسجيل نشاطات الدولة الأموية إذ أسس ديوان منظم للرسائل وهو في حقيقته هيئة إدارية للمكاتبات الرسمية تقوم بتحرير الرسائل من الخليفة الى الولاة والرسائل الدبلوماسية الخاصة بالخليفة إلى خارج حدود الدولة العربية الإسلامية ، وقد وردت عدد من هذه الرسائل المحفوظة في كتب الأدب والتي كانت أشبه بمراسلات قصيرة ودقيقة المعنى ، وقد بدا ديوان الرسائل بالتبلور ،اصبح أكثر وضوحا في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

## 5-ديوان البريد: -

لقد كان معاوية بن أبي سفيان أول خليفة أنشأ ديوان البريد علما ان ديوان البريد كان مخصص لديوان الدولة وليس للناس أي هدف منه ، أي أن الديوان كان رسمي ولم تستفد الرعية منه في نقل رزمهم ورسائلهم إلا بعد فترات قليلة ، لقد كانت المهمات الاولى لديوان البريد هو نقل الأخبار بين العاصمة والأقاليم، كما كان ينقل فيه اخبار الدولة بما فيها المشارف والطرق ورسم الخطط والمسالك المؤدية الى المنازل وعلى سبيل المثال عندما يراد نقل البريد من العراق الى بلاد الشام تقف مجموعة من الخيول بين العراق وبلاد الشام وتستلم الأخبار من المجموعة التي سلكت العراق باتجاه بلاد الشام ، أما مهمة ديوان البريد ايام الطوارئ وخصوصا اثناء المعارك العسكرية حيث كانت عربات تستخدم في نقل القوات العسكرية على وجه السرعة وحتى الآن، والمتعارف عليه اذا اردت ان تبحث عن قطعة عسكرية في وقت الحرب فاذهب إلى دائرة تسمى البريد العسكري.

## 6-ديوان النفقات: -

كان هذا الديوان يتصل مباشرة ببيت المال اتصال وثيق وقدير إذ بدأ العمل بهذا الديوان في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك فكانت مهمته النظر في المصروفات التي تنفق على الجيش والإدارة العامة.

## 7-ديوان الصدقة: -

مهمة هذا الديوان الإشراف على موارد الزكاة والصدقات وتوزيعها على مستحقيها حسب ما جاء في كتب الشريعة السماوية، وكان اول من اسس ديوان الصدقة وبداياته في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك.

أما ديوان العطاء والجزية التي استخدمت في العهد الأموي فلم يكن معمول بها في تلك الفترة وإنما استبدلت بديوانين جاءت حسب حاجة الدولة إليهما وهما:

## 8-ديوان المستغلات: -

ومهمة هذا الديوان النظر في إدارة ممتلكات الدولة أي المشمولة العمارات والحوانيت والأبنية ثم استحدث في العصر الأموي ديوان آخر وهو ديوان الطراز.

## 9-ديوان الطراز: -

ومهمة هذا الديوان الإشراف على المعامل والمصانع التي تنسج الملابس والشارات، وتذكر المصادر التاريخية ان البدايات الاولى لديوان الطراز بدأت في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك بن مروان.

أما الدواوين في العصر العباسي فقد شهدت تطور كبير أكثر مما هو في العصر الأموي حيث كان أول من عمل في الدواوين في العصر العباسي هو أبو العباس السفاح حيث كان عامل الديوان له خالد بن يحيى البرمكي والذي استقرت فيه امور الدواوين على احسن حال وخصوصا ديوان الجند وديوان الخراج وسوف نذكر أهم الدواوين في العصر العباسي والتي بقيت أهميتها لقسم منها كما هي الحال في العصر الأموي ومن هذه الدواوين ديوان الرسائل، ديوان الخراج، ديوان الخاتم، ديوان الجند، ديوان النفقات، ديوان الحوائج، ديوان الاحشام، وديوان الحوائج خاص للناس الذين لهم ظلم يرفعونه إلى الخليفة.

لقد شهدت الدواوين تطورا كبيرا خصوصا في عهد الخليفة المهدي فقد عين عامله على الديوان عمر بن بزيع واستحدث له ديوان يسمى ديوان الازمة ومهمته هو الإشراف على دوائر الدولة كافة، أما في عهد الرشيد فقد استحدث الديوان المسمى ديوان الصوافي ومهمته الإشراف على الارض التابعة للخلافة العباسية، أما في عهد المأمون فقد استحدث ديوان سمي ديوان المظالم والجهزية والتي تهتم بأمور الصيرفة الا اننا من كلامنا هذا يجب أن نتبع مهمة الديوان في العصور العباسية المختلفة.

لقد تطورت الدواوين في العصر العباسي تطوراً كبيراً أكثر مما هو في العصر الأموي حيث كان أول من عمل بمؤسسة الدواوين في العصر العباسي في عصر الخليفة الأول أبي العباس السفاح هو خالد بن يحيى البرمكي.

ففي العصر البويهي كانت الدواوين تدار من قبل سلطات الأمير البويهي بحيث ظهر طابع الخمول على عمل الدواوين نتيجة لتسلط القوة الأجنبية على مقدرات الدولة حيث استخدمت دواوين أخرى ولكنها لا تلبى طموحات الخلافة العباسية، فقد كانت تلبى السلطات الأجنبية في عملها، ومن هذه الدواوين ديوان الزمام و ديوان العرض و مهمته الإشراف على تنظيم الحيز، وديوان التركات الحشرية ومهمته الإشراف على ديوان اليتامى، وديوان الجوالي وديوان الأبنية ومهمته الإشراف على ابنىة الدولة وقبل الانتهاء من موضوع مؤسسه الدواوين في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي لابد من التطرق الى موضوع تخليص الدواوين من الدس الشعبي والاقدام على خطوة جريئة في عملية تعريب الدواوين.

إن أهم عمل قام به العرب وبالأخص في العصر الأموي هو تعريب ديوان الخراج حيث كانت تحفظ السجلات في تلك الفترة باللغة الفارسية في العراق واليونانية في الشام والقبطية في مصر ولم يستطع المسلمون بعد عمليات التحرير والفتح الإسلامي أن يغيروا إدارة الدواوين بسرعه لأنها تتطلب مجهود كبير حيث ابقوها على حالتها بالبداية الا ان توسع خبرة المسلمين واستيطانهم في البلاد المفتوحة وسيادة اللغة العربية لغة العرب الفاتحين والمحربين استوجبت عليه تعريب الدواوين، وكان أول من قام بتعريب الدواوين هو الخليفة عبد الملك بن مروان في العراق واستمرت في عهد الوليد بن عبد الملك حيث عرب دواوين مصر ثم تبعها دواوين الأقاليم الشرقية ولأسيما في خراسان في زمن ولاية نصر بن سيار اذ كانت عملية تعريب الدواوين في حقيقتها ترجمة منظمة نقل فيها المصطلحات اليونانية والفارسية والقبطية الى العربية حيث دفع هذا سكان البلاد المفتوحة وخاصة الموالي إلى تعلم اللغة العربية حيث

اتقنوها بشكل جيد وبهذا العمل أصبحت اللغة العربية لغة الثقافة والدين وأصبحت وسيلة لكل فرد طموح في المجتمع الإسلامي.

## النظام القضائي:

القضاء: القضاء في اللغة هو القاطع في الأمور المحكم لها، وأفضى القاضي بين الخصوم اي قطع بينهم في الحكم او تأتي بمعنى الحكم والإلزام قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: من الآية 14)، ويعني اصطلاحاً الفصل في الخصومات، والإنسان لم يستغن عن الفصل في قضاياها منذ وجوده على شكل مجتمعات بشرية، فقد احتكم الى العادات والتقاليد والأعراف. أما في الشرع الإسلامي، فيقول القلقشندي: ((قيام القاضي بالأحكام الشرعية وتنفيذها على أوامر الشرع وقطع المنازعات)). ويعرفه ابن خلدون (أنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع). اما الطرابلسي فيقول: (انه رفع الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى).

القضاء في فترة ما قبل الإسلام

كانت القيم والأعراف هي المرجع الأساسي للاحتكام والفصل بين أفراد القبيلة أو بين القبائل، فقد كان المتخاصمون يلجئون في عرض قضاياهم على شيوخ قبائلهم أو كهنتهم أو إلى أشخاص معروفين بالحكمة والتجربة أطلق عليهم الحكام، والأحكام التي يصدرها هؤلاء مستنبطة من العرف والتقاليد الموروثة؛ وذلك لعدم وجود بخصوص محدد اقراها المجتمع القبلي. وكانت عقوبة الجريمة في المجتمع القبلي لا تقع على ذات المجرم، إذا كانت الضحية من قبيله اخرى، بل انها تقع على جميع أفراد القبيلة التي كانت متكافلة في السراء والضراء (انصر اخاك ظالما او مظلوما). وقد تؤدي الجريمة التي تقع داخل القبيلة الى الخلع، وعندئذ يصبح المجرم فاقدا جنسية القبيلة، او انتمائه اليها، وكان زعماء قريش بحكم موقعها الديني والسياسي والاقتصادي ممن يحتكم إليهم القريشيون وغيرهم من القبائل العربية، فيما كان يقع من خصومات، وممن تولى القضاء قبل الإسلام في قريش جد الرسول صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف، والقس بن ساعدة، وأمّية بن أبي لهب، والشاعر زهير بن ابي سلمى، وعبد الله بن جدعان. وكان الحكم قبل الإسلام لقطع دابر الخصومة والحد من الظلم. ولعل أبرز عمل قبيل الإسلام هو حلف الفضول الذي عقد لنصرة المظلوم وأخذ حقه من الظالم مهما علت منزلته.

### القضاء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم:

وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تطور القضاء تطورا جذريا في مفاهيمه فأصبحت الجريمة تخص ذات المذنب لا على القبيلة (ولا تزر وازرة وزر اخرى)، وجمع الرسول صلى الله عليه وسلم بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، فكان يفصل في الخصومات بدليل قوله تعالى: {فاحكم بينهم بما أنزل الله}. وكان قاضيا في المدينة بموجب الحلف الذي عقده في المدينة بين المهاجرين والأنصار واليهود والمشركين ومما جاء فيه: (وانه ما كان بين أصل هذه الصحيفة من حدث أو التجار يخاف فساده فإن مرده الى الله والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينيب عنه احيانا أحد أصحابه في الفصل في

الخصومات كما علم أصحابه أساليب النظام والشكوى بقوله: (البينة على من ادعى واليمين على من أنكر). وكان حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم حكماً قطعياً لا حاجة معه الى التمييز ، كما جاء في قوله تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } ( النساء : الآية 65 ) ، وسبب نزول هذه الآية يلقي ضوءاً على ضروب النزاع التي كانت تقع بين المتخاصمين في حياة الرسول ، فقد نظر في الخصام الذي وقع بسبب سقي الماء والذي تنازعه الزبير بن العوام ورجل من الأنصار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير: يا زبير ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الأنصاري وقال العدل يا رسول الله... فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجذر.

ولما انتشرت الدعوة الإسلامية خارج الحجاز، أذن الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم بالفصل في الخصومات. ومن ذلك أنه قلده علي بن أبي طالب قضاء اليمن، وعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أدب القضاء، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا جلس بين يديك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء). وقد نبغ في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ستة قضاة آخرون من كبار الصحابة وهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين. اما الذين اشتهروا بالقضاء والفتيا فبلغوا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم مئة وواحدا وثلاثين رجلاً وامرأة، وكان من بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأم المؤمنين عائشة، ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يقلد القضاء أحداً طلبه ولا سيما إذا كان ضعيفاً لا يقدر على قضاء شيء من الخلاف وإقامة الحق. فقد قال لأبي بردة بن ابي موسى الأشعري ورجلين من بني عمه ((انا والله لا نولي هذا العمل أحداً

سأله)). وقال لأبي ذر الغفاري يوم سأله أن يستعمله: ((يا أبا ذر، أنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)).

أما تنفيذ الاحكام فكانت العقوبة منع الشخص المذنب من الاختلاط بالناس، وذلك بوضعه في بيت منعزل أو في المسجد، حتى استحدثت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه السجن.

### القضاء في العصر الراشدي:

كان العصر الراشدي امتداداً طبيعياً لعصر النبوة، فاتصف بالتمسك الثابت بتعاليم القرآن والسنة النبوية، وبرز ذلك في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: (... الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع الحق علي حقه إن شاء الله ... أطيعوني ما اطعت الله ورسوله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم. قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله.

وقد أسند أبو بكر رضي الله عنه عصمة القضاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من دون ان يلقبه بالقاضي، فظل عامين كاملين لا يأتيه خصمان لما عرف عنه من شدة وحزم. ولما تولى عمر الخلافة رضي الله عنه، توسعت الدولة العربية الإسلامية واختلط العرب مع الأمم الأخرى، التي كانت تحمل قيماً وأعرافاً مختلفة، وأدى هذا التطور الى ضرورة إيجاد صيغ جديدة، والنظر بشكل مركزي من الخليفة الى وضع الولايات شرقاً وغرباً، مما أدى الى استقلال القضاء عن الولاية، وجعل القاضي مخيراً فيما يجتهد ويحكم، فقد قال الخليفة عمر رضي الله عنه لقاضي الكوفة شريح الكندي: (ما في كتاب الله وقضاء النبي صلى الله عليه وسلم، فما قضى به أئمة العدل فأنت بالخيار. إن شئت أن تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرني، ولا أرى في مؤامرتك إياي إلا أسلم لك). ومن القضاة الذين ولاهم عمر لهذا المنصب أبو الدرداء على المدينة، عثمان بن أبي العاص على مصر، وعين أبا موسى الأشعري على قضاء البصرة، وأعطاه كتابه الشهير الذي يعد المصدر الرئيس في التشريع والأحكام، يرجع إليه الفقهاء والقضاة قروناً عديدة، وقد جاء فيه: (واس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا

يطمح شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من أدعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا).

ولم يكن في فترة صدر الإسلام للقاضي سجلات وكتاب يدونون القضايا ذلك لأن الحكم كان ينفذ حال صدوره اسوة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكان القاضي في عهد عمر رضي الله يجلس للحكم في المسجد، ولما استحدث منصب القضاء أخذ القاضي يزاول النظر في الخصومات في المسجد، ثم وجدوا أن هذا لا يتفق وحرمة بيوت الله تجنباً من وقوع الحوادث وارتفاع الأصوات، فأصبح القاضي يجلس في بيته للقضاء بين الناس.

ويتبين مدى رعاية الخلفاء للقضاة في هذا العصر هو ما جاء في العهد الذي كتبه الخليفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى الأشتر النخعي: (أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيّك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً، حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد).

ومن أهم المظاهر المستجدة في عهد الخليفة علي رضي الله عنه، استحداثه بيتاً تطرح فيه قصص المتظلمين، وكان الغرض من ذلك فسح المجال للرعية بطرح مشاكلهم وشكواهم دون خوف او وجل، ويكتبون شكواهم في رقع دون ذكر اسمائهم إذا ارادوا ذلك الا ان هذا الاجراء لم يكتب له النجاح، فقد ألغي فيما بعد لاستغلال بعض الناس، وأخذهم كتابه الوشايات والسباب في القصص وإلقائها في هذا البيت.

### القضاء في العصر الأموي:

وظل القضاء مستقلاً لا يتأثر بالتيارات السياسية في العصر الأموي، اذ لم يتدخل الخلفاء في أحكامه، كما لم يتأثر القضاة بالسياسة. فكان القاضي يقضي حسب كتاب الله وسنة النبي

صلى الله عليه وسلم وأحكام الخلفاء الراشدين والصحابه، ويرجع أحيانا الى الاجتهاد والقياس. وكان معاوية بن ابي سفيان يجلس للناس في المسجد فيقضي ورد مظالم المتظلمين.

### ولعل أهم ما يميز القضاء في العصر الأموي:

أولاً: كان القاضي يقوم بالاجتهاد في أحكامه، اذ لم تكن قد ظهرت المذاهب الفقهية آنذاك والتي قيدت من احكام القضاة، وكان القاضي في العصر الأموي يستنبط أحكامه من القرآن والسنة والإجماع ثم الاجتهاد. وقد استمر الحال حتى العصر العباسي، حيث اقترح عبد الله ابن المقفع على الخليفة أبي جعفر المنصور كتاباً جامعاً يضع فيه حداً للاختلاط في الاجتهادات بالأحكام التي يصدرها القضاة فكتب يقول: (ومما ينظر أمير المؤمنين فيه .... اختلاف هذه الأحكام المتناقضة التي بلغ اختلافها امراً عظيماً... فلو رأى أمير المؤمنين أن يأمر بهذه القضية والسير المختلفة فترفع إليه في كتاب ... ثم نظر أمير المؤمنين في ذلك، وأمضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ويعزم عليه وينهي عن القضاء بخلافه وكتب في ذلك كتاباً جامعاً لرجونا أن يكون اجتماع السير قربه لجماع الأمر برأي أمير المؤمنين وعلى لسانه).

ثانياً: استمر القضاء مستقلاً، ولم يتأثر بدرجة كبيرة بالتيارات السياسية وسياسة الدولة في الأقاليم وكانت احكام القضاة نافذة وكلمتهم مسموعة من الولاة وعمال الخراج.

ثالثاً: ومما يميز القضاء في هذا العصر هو ظهور سجلات القضاة لتسجيل الاحكام بسجل خاص، وسبب ظهوره هو: ان جماعة اختصموا الى قاضي مصر في ميراث فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا اليه فقضى بينهم مرة ثانية وكتب كتاباً بقضائه وأشهد فيه رؤساء الجند، فكان اول قاضي في العصر الأموي كتب سجلاً بقضائه.

### القضاء في العصر العباسي:

يمثل العصر العباسي أوجه التطور والازدهار الحضاري في الدولة العربية الإسلامية ولا سيما في المؤسسات الإدارية ومنها مؤسسة القضاء. ولما كان القضاء يعتمد على التشريع الإسلامي

فلقد أدت المفاهيم الفقهية الدور الأساسي كمرجع للحكام والقضاة لاستنباط احكامهم، وتقيدت أحكام القضاة بدرجة كبيرة بظهور المذاهب الفقهية واستكمال انتشارها في جميع انحاء العالم الإسلامي، فأصبح قاضي العراق يحكم وفق مذهب الامام ابي حنيفة وهو إمام اهل الرأي، وقاضي مصر يحكم على مذهب الإمام محمد بن ادريس الشافعي. وفي أفريقيا والأندلس كان القضاة يحكمون على مذهب الإمام مالك بن انس الذي كان يعتمد على القرآن والسنة والاجماع. ثم انتشر بعد ذلك بقليل المذهب الحنبلي وإمامه أحمد بن حنبل الذي اعتمد فقط على القرآن والسنة ورفض الرأي والقياس وكانت لمناقبه الأثر على القضاة في استنباط الأحكام.

ولعل أهم مظاهر هذا العصر هو استحداث منصب (قاضي القضاة) وأول من عين بهذا المنصب القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الانصاري، أحد أصحاب ابي حنيفة وتلميذه، ويعد أبو يوسف حجة في العلوم الدينية ولا سيما الفقه، وأهم مصنفاته كتابه المعروف بـ (الخراج) الذي أنجزه بطلب من الخليفة هارون الرشيد، ولقد تولى منصب قاضي القضاة وهو كاره لهذا المنصب، وكان مركز قاضي القضاة العاصمة، ومن سلطته تعيين القضاة في الأقاليم. وكان أحمد بن داود من القضاة المشهورين وتولى منصب قاضي القضاة في عهد الخليفة المعتصم وهنا يجب التفريق بين هذا اللقب ولقب أقضي القضاة الذي ظهر في العصر البويهي، وهو منصب اقل اهمية ومرتبة من قاضي القضاة. ولعل السبب في استحداث منصب قاضي القضاة هو أن الخليفة يصعب عليه مراقبة القضاة لكثرة انشغاله بأمور الدولة فعين قاضي القضاة ((ليكون نائباً عنه في مراقبة القضاة)).

على أن مركز القاضي لم يكن مصنوعاً في كل عهود الخلفاء العباسيين. فالخليفة ابو جعفر المنصور كان يحاول أن يطع على كل صغيرة وكبيرة تتعلق بأمور الدولة ومنها القضاء. حيث حاول أن يضغط على القضاة. فلذلك اعتذر عدد من كبار الفقهاء عن تسلّم هذا المنصب خشية تدخله في أحكامهم. وقد عرض الخليفة المنصور القضاء على أبي حنيفة فاعتذر فضربه

ثلاثين سوطا، فأصر على الاعتذار في فسجنه ثم ما لبث أن أطلق سراحه. وأصدر قاضي مصر في عهد المنصور حكما على جندي من أهل خراسان بالسجن، ولكن قائد الجيش تدخل في الأمر وأطلق سراحه فادى هذا التجاوز إلى استقالة القاضي. ولعل أهم ما يتصف به نظام القضاء في هذا العصر هو ضعف روح الاجتهاد في الأحكام ومردة ظهور المذاهب الفقهية واستكبار الاجتهاد مما أدى إلى الابتعاد عن الحكم الاجتهادي. كذلك ضعف بعض القضاة وتهرب البعض الآخر من تحمل المسؤولية نتيجة التدخل بعض أولي الأمر في أمورهم القضائية.

وفي هذا العصر ظهر التخصص في مؤسسة القضاء، فظهر في عهد هارون الرشيد قضاء خاص أطلق عليه (قضاء الجند)، ويبدو أن هذا القضاء هو بمثابة المحاكم العسكرية في الوقت الحاضر، وكان معروفا في زمن الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فأحياه الخليفة العباسي حين عين علي بن ظبيان على قضاء العسكر. وصار عرفا أن تحال الدعوة المتعلقة بالجند إلى قاضي الجند لكون أحد طرفي الدعوة من الجند. كما ينظر قاضي الجند في غنائم البر والبحر. واستحدث أيضا منصب قاضي(الثغر).

ونظرا للتسامح الديني لدى المسلمين فلقد كانت الحرية الدينية مطلقة بالنسبة لأهل الذمة. فكان الخلفاء يسمحون لأهل الذمة بالاحتكام إلى القضاة المسلمين، وقد أجاز الفقهاء تقليد الذمي ولاية القضاء لطائفته. ففي الأندلس لكثرة ما فيها من أهل الكتاب فلقد كان هنالك منصب (قاضي النصارى). وإذا حدث نزاع بين مسلم وذمي فإن قضاة المسلمين هم الذين يحكمون في الأمر، وكان قضاة المسلمون يقبلون شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود، وقبول شهادة الذمي على المسلم بعد استحلافه في محل عبادته وكتابه المقدس.

**سلطة القاضي وصفاته:**

القضاء من المناصب المهمة والكبيرة في الدولة العربية الإسلامية، حيث كان يعين من الخليفة وأحياناً من الولاة أو قاضي القضاة. وسلطته لا تنحصر أحياناً على واجباته القضائية إنما تتعداها الى إقامة الصلاة والخطبة والإشراف على الماكن الدينية وعلى أموال الغائبين والمفقودين والإشراف ايضاً على معايير الذهب والفضة والمكايل وولاية الحج وأخذ البيعة للخليفة ومصاحبة الجيش وأحياناً قيادته حيث تذكر بعض الروايات ان القاضي يحيى بن الهيثم في عهد المأمون قاد جيوش الصائفة الى أرض الروم فضلاً عن قيامه بالواجبات الشرعية.

ونظراً لأهمية صلاحيات وواجبات القاضي ، كان الخليفة أو الوالي يختار القاضي من بين كبير الفقهاء ورجال الدين ، فيراعي في القاضي غزارة العلم والتقوى والورع والعدل ، فضلاً عن الشروط الثلاثة التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهي : ( ينبغي على القاضي أن يتحلى بخصال ثلاث : لا يصانع ولا يضارع ( يرأى ) ولا يتبع المطامع ) . ويقال أن الخليفة هارون الرشيد قد بلغ عنه شدة الحرص في اختيار القضاة من بين أكثر الناس شرفاً وعلماً ، فيقول الدينوري : ( أن الرشيد احضر رجلاً ليوليه القضاء فقال الرجل اني لا أحسن القضاء ، ولا أنا فقيه ، فقال الرشيد : فيك ثلاث خصال لك الشرف والشرف يمنع الدناءة ، ولك العلم يمنعك من العجلة ، ومن لم يعجل قل خطؤه ، وانت رجلٌ تشاور في أمرك ، ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقه فسينظم اليك من تتفقه به ) فولي فما وجد فيه مطعناً.

ولقد حدد الفقهاء شروط القاضي وصفاته: أن يكون رجلاً حراً بالغاً ، صحيح التمييز، جيد الفطنة ، بعيد عن السهو والغفلة، ويشترط فيه الإسلام قوله تعالى { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً } ، بل يجوز تقليده القضاء بين أهل دينه، كما يشترط فيه العدالة، وان يكون صادق اللهجة، طاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم ، بعيداً عن الريب، مأموناً في الرضا والغضب ، ومن الشروط الحسية أن يكون فيه سلامة السمع والبصر، أما الشروط الأساسية فهو أن يكون عالماً بالعلوم الشرعية، كعلوم

القرآن، والتفسير، والحديث وأصول الفقه وفروعه وعالماً بالإجماع وبارعاً في الاجتهاد والقياس.

### امتيازات القضاة:

كان القاضي منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ينظر الى الشكاوى في المسجد، ولما استحدث منصب قاضي القضاة وجد من الأفضل أن يحتكم الناس في بيته. وفي العصر العباسي أصبح للقاضي دار للقضاء ومجلس. وكان القاضي يتأرض مجلس القضاء وله مشاورون وكاتب للأحكام وخازن لديوان الحكم واعوان. وأطلق على السجلات التي تحفظ في ديوان القضاء (بالقمطر). وظهر اول مرة في زمن الخليفة هارون الرشيد الوكيل (ووظيفته تشبه المحاماة في الوقت الحاضر)، فصار لكل قاضي مجموعة من الوكلاء يختارهم بنفسه، من اهل السنة والعدل والعفاف، ومن يكون مأمونا علة الخصومة وعلى معرفة دقيقة ومفصلة عن القضية. وهذه الوظيفة أصبحت من صلاحيات القاضي. وفي عهد الرشيد ايضاً، أصبح للقاضي صلاحية إطلاق سراح المسجونين ورعايتهم والاهتمام بهم. ولقد اقترح القاضي أبو يوسف على الرشيد (تخصيص عشرة دراهم في الشهر لكل مسجون بدل طعامهم وخبزهم، كما اقترح عليه ايضاً تحسين أحوال السجون).

واختص القاضي في العصر العباسي بلباس خاص يميزه من بقية رجال الدولة، فكان يرتدي السواد شعار الدولة العباسية ويضع فوق رأسه قلنسوة طويلة. ويبدو أن الخليفة أبا جعفر المنصور زاد من طول القلنسوة في عهده، مما أدى بالشاعر أبي دلالة أن يشير ساخراً إليها:

وكنا نرجى في أمير زيادة فزاد لنا فيها بطول القلانسي

ومن الامتيازات الأخرى التي تمتع بها القضاة الرواتب، فلقد تباين الراتب من عهد الى عهد: فالخليفة عمر فرض لقاضي الكوفة شريح الكندي مائة درهم مع مؤونته من الحنطة. وازداد راتب القاضي في العصر الأموي فقد كان قاضي مصر يصرف له ألف دينار في السنة فضلاً عن العطاء والجائزة. اما الخليفة عمر بن عبد العزيز فلقد أوقف رواتب القضاة، على اعتبار القضاء من الواجبات الدينية وهي خدمة لله. وفي عهد مروان أصبح راتب القاضي عشرة دنانير شهرياً. وازدادت رواتب القضاة في العصر العباسي لمنع أخذ الرشوة والهدايا لضمان سير العدالة، ولقد بلغ راتب القضاة مائة دينار في الشهر، وكان راتب قاضي ولي مصر للمنصور سنة 155 هـ ثلاثين ديناراً كل شهر. وكان الفضل بن غانم من مشاهير القضاة ولي قضاء مصر في عهد المأمون كما أن جرابته كانت كبيرة.

### الشرطة:

أصل الكلمة في اللغة من شرطي (بالفتح) أو شرطي (بالضم) والجمع شرط. سموا بذلك واعلموا أنفسهم بعلامات خاصة.

والشرطة تعد مؤسسة قضائية شبه عسكرية، وهم الرجال الذين يؤلفون الحرس الخاص، ثم استخدم بمعنى رجل الأمن بحكم عملهم وهي المحافظة على الأمن والنظام وحماية مؤسسات الدولة تحت اشراف ولاية الأقاليم.

وترجع الجذور التاريخية لنظام الشرطة الى العصر الراشدي اذ ولى الخليفة أبو بكر رضي الله عنه، عبد الله بن مسعود أمير للعسس، وفي زمن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عين على شرطة الكوفة، قيس بن سعد الأنصاري، ألا أن نظام العسس في العصر الراشدي كان مبسطاً وواجباتهم كانت محدودة، وهي مطاردة شاربي الخمر ولأعبي الميسر. والمرجح أن هذا النظام أخذ ينمو ويتطور تدريجياً في العصر الأموي ، فقد أستخدمهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان لحراسته أثناء صلاته في المسجد ، كما أصبحت وظيفة الشرطة قضائية ، حيث انهم كانوا يقومون بتنفيذ أحكام القاضي وحفظ الأمن ومطاردة المعارضين لحكم بني أمية ، وكان يطلق على رئيس الشرطة ، ( صاحب الشرطة ) أو صاحب الليل أو صاحب المدينة أو أمير الشرطة ، وكان يتولى هذا المنصب في العصر الأموي كبار القادة العسكريين أو أصحاب العصبية والنفوذ ، كما ازداد عدد الشرطة اذ أصبح في ولاية زياد ابن ابيه والي البصرة أربعة آلاف عليهم عبد الله بن حصن حتى مات ، فولى الجعد بن قيس النميري . وفي بعض الولايات كان الوالي يختار صاحب الشرطة ضمن موصفات معينة، فالحجاج بن يوسف الثقفي عندما أراد أن يولي شخصاً على شرطته بالعراق قال: (أريد رجلاً دائم العبوس طويل الجلوس سمين الأمانة عجف الخيانة في الحق، على جراه تهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة).

وفي عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك استحدث نظاماً وسطاً من شرطة الأمن وشرطة الجيش سماه (نظام الاحداث). ثم تبلور هذا النظام في العصر العباسي وازدادت أهميته، فأصبح من واجبات الشرطة المشاركة في الأعمال العسكرية فضلاً عن واجباتهم الخاصة بضرب المفسدين، وأصحاب الشغب، وحفظ الأمن والنظام. ويذكر سيديو أن (العباسيين أوجدوا إدارة ممتازة للشرطة، تحمي الناس وتحفظ أموالهم، ولقد اهتم الرشيد اهتماماً كبيراً بأمر الشرطة فولى عليها الأشداء ومن المقربين له، فعين القاسم بن نصر صاحباً للشرطة ثم عين المسيب بن زهير العتبي الذي اتخذ من ابنه معاوناً له. كما برز في عهد الرشيد كل من عبد الله بن

حازم وإبراهيم بن عثمان بن نهيك ثم ابنه إبراهيم الذي بقي حتى وفاة الرشيد عام 193هـ. وقد تشعب نظام الشرطة في العصور العباسية المتأخرة فنلاحظ هنالك شرطتين: كبرى وصغرى، فالكبرى تقوم بمحاسبة كبار رجال الدولة من ولاة ووزراء وعمال، والصغرى تهتم بمعاينة الجناة من عامة الناس.

### صلاحيات صاحب الشرطة:

كان للشرطة تقسيمات يرأسها صاحب الشرطة تتوزع على أحياء المدينة، وكانوا يتقاضون رواتب عالية، ويتمتعون بمنزلة خاصة لدى الخلفاء والولاة والقضاة، تحقق لهم هيبة واحترام الناس. وكان صاحب الشرطة يساعد السلطة على تنفيذ أحكام القضاة وحماية الأمن والأخلاق في المدينة. ويختار صاحب الشرطة من ابرز موظفي الدولة ومن أصحاب القوة ، وينبغي أن يكون حليما مهيبا ، طويل الفكر ، بعيد الغور ...وأن يكون طاهر السيرة غير عجول ويكون قليل التبسم. وفي عهد الرشيد حددت صلاحيات صاحب الشرطة خشية استغلال منصبه وصلاحياته الممنوحة ، فأصبح عمله يخص طبقات معينة من المجتمع ، وحصر أمر كبار القوم والأعيان لوزيره ، ولصاحب الشرطة جلستان ، وعلى غاية كبيرة من الأبهة والهيبة .فكان يقلد القاضي في جلساته .يتصدر المجلس وعلى جنبه كاتبه لتدوين محاضرة واحكامه ويقف حوله أعوان كثيرون وهم مدججون بالسلاح.

وكان يرتدي العباء الأسود ويتقلد سيفاً، وهما علامتان، الأولى تميزه من عامة الناس والثانية تميزه من الخواص كالقضاة والمحتسبين وغيرهم من كبار موظفي الدولة الذين يرتدون السواد. هذا فضلا عن حمله الحربة التي تسمى (الطبرزين) في المواكب. وعين على المدن الأخرى موظف يسمى صاحب المعونة او والي المعونة، سمي بذلك لكي يميز بينه وبين صاحب الشرطة الذي يعين في العاصمة من الخليفة. اما نظام الاحداث فلقد اسند زمن الرشيد الى أمهر القادة لمساندة نظام الشرطة على خدمة الامن والنظام وقد تضاف الى صلاحيات

صاحب الشرطة صلاحية معاون (صاحب المعون) وصاحب الاحداث. وفي العصور العباسية المتأخرة ظهرت جماعة منظمة في المدن تقوم بحماية الأسواق وأصحاب الحرف والتجار ويسمون بالفتوة لمساعدة الشرطة على تطبيق النظام القوي وحفظ الامن والاستقرار في المدينة وكان لفتوه لباس خاص، وقائد، ونقيب، وعريف. وكانوا يتصفون بالنخوة والشجاعة ولكرم شأنهم شأن الفرسان الذين ظهروا في اوربا لحماية الضعيف من جور القوي المستبد.

**الحسبة والمحتسب:**

الحسبة لغويا من تحسب الأخبار، أي تجسسها أو تحسسها ودليل مشروعيتها قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. وهي وظيفة دينية ناصحة رادعة، عرفها الماوردي بقوله: (الحسبة أمر بالمعروف ان ظهر تركه، أو نهى عن المنكر إذا ظهر فعله). ولئن كان القضاء يقوم على أساس فض النزاع اعتمادا على التشريع الإسلامي، ووظيفة المظالم فض النزاع بين المتظلم والدوائر الرسمية كالداووين وكبار رجال الدولة وتتعداها إلى أولي الأمر من ولاية وعمال والخلفاء أنفسهم، فإن الحسبة واسطة بين هاتين الولايتين وأحكامها واسطة بين احكامها. وتشبه الحسبة ولاية المظالم في كونها تقوم على الهيبة والرهبة والقوة والصرامة وفي توجه كليهما إلى النهي عن المنكر والبغي والعدوان. غير أن النظر في المظالم موضوع يقوم على الحكم في قضايا يعجز عنها القضاء والحسبة وإذا جاز لصاحب المظالم والقاضي أن يحكم فإن صاحب الحسبة (المحتسب) يأمر وينهي من غير أن يحكم ولا يحتاج إلى شهود، ولا أن يحلف يمينا على نفي حق. إذ أن المحتسب هو مصلح ديني اجتماعي اقتصادي له صلاحية المحاسبة القضائية ومفوض من الخليفة أو الوالي. أما أهم واجبات المحتسب فهي مراعاة احكام الشريعة الإسلامية، وإقامة الشعائر الدينية والمحافظة عليها، والنظر في أرباب البهائم، والنظر في آداب العامة، والبيع كبيع السلع الفاسدة في السوق وكذلك مراقبة الموازين والمكاييل والنقود التي يتعامل بها الناس. فضلا عن ذلك يقوم المحتسب بمراقبة الشوارع والطرق لتسهيل المرور، ويمنع الحمالين وأهل السفن من المبالغة في الحمل أو شحن السفن بأكثر مما تتحمل. ويحكم في هدم المباني المتداعية كي لا تسقط على الناس، ويمنع معلمي الكتاتيب من ضرب الصبيان، ويحكم في قضايا الغش والتدليس، ويحكم على المماطلين بأداء ما عليهم من ديون فهو الحاكم الناصح المؤدب والناهي الرادع. ولقد وضع الفقهاء مواصفات خاصة لولاية الحسبة فذكروا أن يكون المحتسب (عقياً خيراً ورعاً عالماً بالأمور، محنكاً فطناً، لا يميل ولا يرتشي فتسقط هيئته ويستخف به ولا يعبأ به). وأضاف الماوردي ال صفاته (أن يكون حراً عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين وعلم بالمنكرات

الظاهرة) كذلك يضيف ابن الاخوة (أن يكون مسلماً حراً بالغاً عاملاً قادراً). وكان المحتسب يستعين بأشخاص من بين أرباب الحرف والتجارة ويطلق عليهم العرفاء، وكانوا يقومون بمساعدة المحتسب بمراقبة السوق لمنع الغش في الصناعات والمعاملات التجارية، والموازن، والمكايل، والنقود.

### نشأة الحسبة وتطورها:

تشير المصادر التاريخية الى أن الحسبة ظهرت منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد مارسها بنفسه وتبع مسيرته الخلفاء الراشدون ، وقد بدأت الحسبة بمراقبة الغش في الطعام ،حيث استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم سعيد بن سعيد ابن العاص لمراقبة السوق في المدينة ولاسيما بيع الطعام .وكانت سمراء بنت عفيك الأسدية تقوم بالإشراف على الأسواق في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ( وكانت تمر في الأسواق تأمر بالمعروف وتنهاي عن المنكر وتنهاي الناس عن ذلك بسوط معها ) .ويبدو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان أول محتسب في الإسلام ، اذ رأى جمالاً يقسو على جملة فقال له : ( حملت جملك ما لا يطيق ) ، ويعد الخليفة عمر رضي الله عنه ، أول من ادخل الحسبة كنظام في الإدارة الإسلامية بصورة دائمية حينما استعمل عبد الله بن عتبة على سوق المدينة . وكذلك اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم برفع مكانة المرأة العربية الماجدة، اذ ولى الحسبة الشفاء الانصارية على سوق المدينة. وفي العصر الأموي كان سمرة بن جندب قد تولى الحسبة في العراق وذلك في ولاية زياد بن أبيه، وكان زياد يستخلفه إذا غاب عنها. ونظراً لازدهار التجارة وظهور حالات جديدة في المجتمع بعضها منكرة، أضيفت الى المحتسب صلاحيات جديدة في العصر العباسي مثل حقوق الإمام ومنع اخفاء العبد، ومراقبة القضاة والوعاظ وأئمة المساجد والأطباء والمعلمين والصناع، والنظر في أمور الزنا والغش، ومحاسبة أصحاب السحر والشعوذة، والنظر في مساعدة الفقراء، ومنع المنكر كتعاطي المسكرات والغيبة والنميمة والكذب، أو مراقبة تارك الصلاة والافطار في شهر رمضان.

واهتم الخليفة هارون الرشيد بولاية الحسبة، وأقام نفسه محتسباً يطوف أسواق بغداد، ويقوم بفحص الموازين والمكاييل وينظر في معاملات التجار ومحاسبة المتجاوزين على حقوق الناس.

## المظالم:

المظالم لغويا جمع مظلمة (بكسر اللام)، والمظلمة (بفتح اللام) ما تطلبه عند المظالم، والمتظلم الذي يشكو رجلا ظلمه، يقال: نظم فلان الى الحاكم من فلان فظلمه تظليماً، أي أنصفه من ظالمه واعانه عليه. والمظالم اصطلاحاً منح اهل الحقوق حقوقهم وأخذ المرء ما ليس له وهي بمعنى آخر (التعدي عن الحق الى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف عن الحق الى الباطل وهو الجور، وقيل هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد). وعرف ابن خلدون المظالم بقوله: (وظيفة ممتزجة من سطوة السلطة ونصفه القضاء، وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة، تقمع الظالم من الخصمين وترجر المعتدي..). والمظالم سلطة قضائية أرفع من القضاء الاعتيادي، والمظالم سلطة قضائية ارفع من القضاء الاعتيادي ويمكن اعتباره محكمة عليا والذي لا يتولاها إلا (ذو الأقدار الجليلة والأخطار الحفيلة) وكان يتولاها رجل من أصحاب القوة والنفوذ واحياناً يترأسها الخليفة، ذلك لأن القضايا التي تطرح من المتظلمين ربما تتعلق بشكاوى ضد الرجال الدولة الكبار كموظفي الديوان وأعيان البلد ممن تجاوز الحدود واغتصب حقوق الناس الضعفاء.

## نشأة المظالم وتطورها:

لقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام مجزئاً إلى وحدات مختلفة تتمثل بالنظام القبلي وبالرغم من التجانس والتقارب الاجتماعي القيم والأعراف والتقاليد، ألا أن النزاع القبلي من غزوات

وثارات كانت تنتهي في بعض الاحيان الى الفصل بين القبائل المتخاصمة، يقوم به رؤساء القبائل تنتهي بدفع الدية أو فداء الاسرى فيقطعون دابر الخصومة والحد من الظلم والعدوان.

ولعل أبرز ظاهرة حدثت في تاريخ العرب للحد من الظلم وإحقاق الحق ما حدث في مكة عندما عقد حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان، هذا الحلف الذي كان حصيلة نصره المظلوم وأخذ الحق من الظالم مهما كان مركزه السياسي والاجتماعي، وأن لا يتركوا لأحد عند أحد فضلا إلا أخذوه، فبذلك سمي حلف الفضول، وقد حضر الرسول صلى الله عليه وسلم الحلف قبل مبعثه واعتز به في الإسلام وفيه يقول: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعي به في الإسلام لأجبت).

لقد تولى الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه النظر بالمظالم لحماية المسلمين من المتجاوزين على حقوق الآخرين، من ذلك أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين وذلك بعد أن شاكه وفد من أهلها، وولى مكانه ابان بن سعيد بن العاص. كذلك منع الرسول صلى الله عليه وسلم الهدايا التي أخذها بعض الولاة قسرا، إذ ان الهدايا اختيارية لا تأخذ قسرا من الناس وعدا ظلما، فحين جاء للرسول صلى الله عليه وسلم المسؤول عن صدقات بني سليم وسلمه الأموال قائلا هذه أموالكم وهذه هدايا أهديت الي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم محاسبا (هلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا)، وعلى ما تقدم وباعتبار سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي إحدى أسس التشريع الإسلامي فيعد عصره هو العصر الذي نشأ فيه النظر في مظالم المتظلمين.

### المظالم في العصر الراشدي:

وضع أبو بكر الخطوط الرئيسية لولاية المظالم وعد نفسه واليا لها ، حيث جاء في خطبته ( الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله ) ، كان أبو بكر رضي الله عنه مقتديا بسيرة الرسول صلى الله عليه

وسلم ينظر بنفسه في سيرة الولاة والعمال مع الرعية ومحاسبة المقصر او المسيء ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد على عماله يحاسبهم سنويا ويستمع الى شكاوى الناس ، وكان يزيل الظلم باستخدام طرق متعددة منها إجراءات المقاسمة ، إذ قاسم عمر رضي الله عنه عماله إذا ثبت لديه اساءتهم لاستعمال نفوذهم ، فقد قاسم أموال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، وصادر أموال عتبة بن أبي سفيان ، كذلك قاسم أموال أبي هريرة عامله على البحرين الذي قال انه اشتغل بالتجارة ، ويقال انه اخذ من عامله الحارث بن كعب بن وهب المائتي دينار التي كسبها من التجارة وهو يقول : ( انا والله ما بعثناكم لتتجروا في أموال المسلمين ) كذلك قاسم عمر رضي الله عنه عماله على الاحواز ، وذلك على اثر قصيده رفعها ابو المختار يزيد بن قيس يذكر فيها أسماء بعض العمال الذين أسأؤوا استخدام نفوذهم .

وأوصى الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه عماله وولاته وقادة الجند اتباع سياسة عمر رضي الله عنه وأن لا يحدوا عنها، كذلك شدد على عمال الخراج فقال: ( لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم)، واتبع عثمان رضي الله عنه سيرة سلفه عمر رضي الله عنه بعزل من شكى منه عن منصبه، فقد عزل أبو موسى الأشعري واليه على البصرة لما شكاه غيلان بن خرشة الضبي متهما الاشعري بانحيازهم الى خصمه في دار له كونه أحد أصحابه.

وتطور نظام المظالم في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث استحدث (بيت القصص) وجلس للمظالم ينظر في شكاوى الناس، وكان حريصا على أموال المسلمين الى حد انه اراد قطع يد احدى بناته لما رآها قد زينت نفسها بلؤلؤة من بيت مال المسلمين، لولا تدخل خازن بيت المال وتحمل مسؤولية الأمر . وكان عليا يوصي عماله بالحسنى على جميع رعايا دار الإسلام، فمن وصيته الى معقل بن قيس حين سار الى الاحواز (اتق الله ما استطعت ولا تبغ على أهل القبلة وتظلم أهل الذمة).

### المظالم في العصر الأموي:

ان معظم خلفاء بني أمية نظروا بالمظالم بأنفسهم، فكان معاوية بن أبي سفيان يجلس في المسجد ويقضي حوائج الناس ويرد مظالمهم. وكان معاوية يوصي عماله بحسن معاملته الناس، ونشر العدل وحسن السيرة، فلما ولى زياد بن أبيه البصرة أوصاه بذلك فابتدأ زياد بأمر حاجبه ألا يحجب دخول المتظلم عليه.

ويعد الخليفة عبد الملك بن مروان أول من نظر في المظالم في أيام محددة، ويقال انه حاسب أحد كتبه لقبوله هدية قائلاً: (والله إن كنت قبلت هدية لا تنوي مكافأة المهدي لها، أنك لنئيم ودنيء، وإن كنت قبلتها تستكفي رجلاً لم تكن تستكفيه لولاها أنك خائن) ثم عزله من منصبه.

كما اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز اهتماماً كبيراً رد المظالم الى اصحابها وقد بدأ بنفسه ثم بأهله وبأقاربه ، فقلص مصاريف الخلافة وجلس على الحصير ووزع مزارعه ورد بعضها على ما كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصادر أموال وحلي وجواهر زوجته فاطمه وارجعها الى بيت المال ، وأخرج من ايدي ورثة معاوية وابنه يزيد حقوقاً ردها الى اهله كما نظر بالمظالم الشخصية والمظالم العامة التي تخص اهالي بلد بأكمله كالخراج المفروض على أهل اليمن من واليها محمد بن يوسف الثقفي، وقد امر عمر بأن يأخذ العشر أو نصف العشر.

### المظالم في العصر العباسي:

وفي العصر العباسي أصبح لولاية المظالم ديوان خاص يسمى ديوان المظالم، وهيئة الديوان تتكون من:

- 1-صاحب الديوان: وهو الشخص المسؤول عن رفع الظلمات الى الخليفة أو من يقوم مقامه.
- 2-كاتب تثبيت: وهو يقوم بتسجيل الشكوى وكل ما يتعلق بها من سندات سجلات الديوان.
- 3-كاتب نسخ: وهو يقوم باستنساخ خلاصات القصص أو الرقم.

4- كاتب انشاء: وهو الذي ينشئ الكتب على قصص المتظلمين الموقعة من الناظر في المظالم.

5- كاتب تحرير: وهذا يقوم بتحرير الكتب الصادرة من الديوان، ومراسلة أصحاب العلاقة مثل صاحب الديوان، أو صاحب المعونة أو القاضي الخ. كذلك نلاحظ في هذا العصر التوسع الكبير في (مجلس النظر في المظالم)، ومهمة المجلس تتعلق مباشرة في الظلمات المرفوعة اليه من صاحب الديوان.

ويتألف المجلس من أعضاء دائمين وهم:

1- الناظر في المظالم: وهو رئيس المجلس، وكان يتقلدها الخليفة أو الوزراء أو بعض كبار القضاة والمقربون من الخليفة.

2- الحماية والأعوان: ومهمتهم حفظ الأمن والنظام في المجلس ومساعدة الحكام وأصحاب المظالم على تنفيذ الحكم لذا سمي هؤلاء بأصحاب المعونة أحياناً.

3- القضاة: ومهمتهم الاستعلام منهم عما ثبت عندهم من الحقوق وما تبين لديهم من قرار.

4- الفقهاء: ويرجع إليهم في القضايا الشرعية، التي قد يحتاج إليها الناظر في المظالم. من انه اعرف بالحلال والحرام ولناسخ والمنسوخ من القرآن، بصير بالسنن والأحكام.

5- الشهود: وهم الشهود التابعون لناظر المظالم يحرضهم كي يشهدوا لإثبات الحكم.

وكان ممن جلس للمظالم من الخلفاء العباسيين، المنصور والمهدي، والهادي، والرشيد، والمأمون. ومن المظالم التي رفعت الى الخليفة ابي جعفر المنصور مظلمة اهل قبرص بشأن زيادة الألف دينار على ما فرض عليهم عنما صالحوا به معاوية بن أبي سفيان، وقد أمر برفعها. ومن الإجراءات التي اتخذها المنصور وضعه العيون في مختلف الولايات لمراقبة العمال والولاية وجباة الضرائب ليكتبوا له عن حقائق الأمور ويكتبوا عن اعمال الوالة وتصرفاتهم

مع الرعايا. فقد عزل والي حضرموت لما كتب له صاحب البريد أنه يكثر رحلات الصيد، وعزل ابن أخيه عبد الوهاب بن إبراهيم عن فلسطين لسوء معاملته للرعية. أما ابنه المهدي فأول عمل قام به هو وتنفيذ وصية والده فيما يتعلق بالأموال المصادرة، فتم إطلاق الكثير من الأموال المحجورة والعائدة لأصحابها من أهل بيته وغيرهم، وجلس المهدي للمظالم، وأعاد ما استحدثت الخليفة الراشد علي رضي الله عنه باتخاذ بيت القصص، كأحدى الوسائل التي قد يحقق فيها العدالة الشاملة للرعية. وجعل أمر النظر في قصص المتظلمين إلى عمر بن مطرف صاحب المظالم. وفي عهد الرشيد أصبح الوزراء يتولون مجلس المظالم، وقد استغل بعض الوزراء كالبرامكة صلاحياتهم التفويضية في الوزارة، فانفردوا في إصدار أحكامهم دون علم الخليفة. وقد أدرك الرشيد خطورة تولي البرامكة للمظالم، ويظهر أن القاضي أبا يوسف كان غير راضي عن تولية البرامكة للمظالم فحث الرشيد على النظر فيها بنفسه. وتشير الروايات التاريخية أن الرشيد كان يجلس للمظالم خارج بغداد في الرقة على الفرات فيتوجه إليه المتظلمون من أهالي المناطق القريبة والبعيدة من الدولة.

وكان المأمون يجلس للمظالم ونظر في الكثير من الرقع المتعلقة بالمتظلمين ممن احتجرت أموالهم وضياعهم ، وكان شديدا مع العمال والولاة الذين أسأؤوا صلاحياتهم فمثلا ، انه نظر في مظلمة أهل الأحواز من عاملهم فعزله ، ومظلمة أهل الكوفة من عاملهم عليها ، فشكوه إلى المأمون فقال : ( ما علمت في عمالي أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه، فقال رجل منهم: يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والإنصاف منك، فإن كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا ويأخذ بقسطه منه كما أخذنا، وإذا فعل ذلك لم يصبنا منه أكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم ). وقيل ان المأمون كان يستخدم عددا كبيرا من العجائز لاستقصاء الأخبار عن الولاة والعمال ومعرفة أحوال الرعية فضلا عما كان تحت امرة صاحب الخبر من أعداد كبيرة من الرجال ليعينوه في مهمته لتقصي الأخبار.

وبعد مقتل المتوكل (247هـ\_861 م) ومجيء الاعاجم تغلغل النفوذ الأجنبي في مؤسسات الدولة ولا سيما الجيش فأثر ذلك تأثيرا كبيرا في تسيير أمور الدولة ، حيث اصبح الخلفاء يعيدون عن السلطة الفعلية فأصبحت المظالم بأيدي اشخاص خارجين عن مواصفات صاحب المظالم ، فعلى سبيل المثال أن ام المقتدر بالإضافة لما لها من تأثير حتى في تعيين الوزراء او عزلهم ، كان لها كذلك الأثر في تعيين قهرمانتها على المظالم ، فكانت تنظر في المظالم ويحضر مجلسها القضاة والاعيان .

### اختصاصات مجلس المظالم:

وتشمل جوانب ذات صفة دينية وقضائية وإدارية ومالية، ويمكن تحديدها بالآتي:

1\_ النظر في ظلم وتعدي الولاة على الرعية واخذهم أساليب العسف والجور وقد تؤدي المظلمة الى الحكم بعزل الوالي.

2\_ النظر في استغلال وتعسف العمال وجباة الخراج والطرق الغير مشروعة للحصول على الأموال.

3\_ مراقبة كتاب الدواوين لأنهم امانا على أموال المسلمين ومحاسبة مزوري الوثائق الرسمية ان حصل ذلك.

4\_ تظلم الجند والموظفين من نقص ارزاقهم او تأخر عطائهم.

5\_ رد المغصوب من أموال او أملاك وهي نوعان:

أ\_ غصوب سلطانية: وهي تلك التي تجاوز عليها الخلفاء وورثتهم.

ب\_ غصوب شخصية: أي تلك التي ضمها أصحاب النفوذ والسلطة وتصرفوا بها كأنها املاكهم.

6\_ الاشراف على الأوقاف.

7\_ تنفيذ ما عجز القضاة على تنفيذه من الاحكام.

8\_ النظر فيما عجز عنه الناظرون في الحسبة وفي المصالح العامة.

9\_ النظر في المنازعات والفصل فيها. وعلى والي المظالم ان يقضي كما يقضي القضاة،

ولهذا استعين بالقضاة في مجلس المظالم.